المجموع المفيد

في بيان

أهمية التوحيد

١٠٠ فائدة لأهمية التوحيد

قراءة وتقريظ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

تأليف

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الغفيسان

دار النصيحة



١٠٠ فائدة لأهمية التوحيد

قرأه وقرظه

سماحة معالي الوالد العلامة
عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل
رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقًا

فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

تأليف
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العميسان
غفر الله له ولوالديه ومشايخه وجميع المسلمين

دار النصيحة


بسم الله الرحمن الرحيم


المجموع المفيد
في بيان
أهمية التوحيد

ح عبد الرحمن بن محمد العميسان، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العميسان، عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله

المجموع المفيد في بيان أهمية التوحيد

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العميسان، المدينة المنورة، ١٤٣١هـ

ص ٢٩٥؛ ١٧x٢٤سم

ردمك: ٢ـ٤٠٧٤ـ٠٠ـ٦٠٣ـ ٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٧٣/ ١٤٣١

الطبعة الأولى

عام ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م

دار النصيحة

المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية -أمام البوابة الجنوبية للجامعة الإسلامية
تلفاكس / ٠٠٩٦٦٤٨٤٧٠٧٠٨ - جوال / ٠٠٩٦٦٥٩٥٩٨٢٠٤٦
البريد الإلكتروني: daralnasihaa@gmail.com

تقديم وتقريظ

صاحب المعالي فضيلة الشيخ العلاَّمة

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل

التاريخ ٧/٢/٣ـ١٤٣هـ

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه، وبعد: فقد اطلعت على رسالة: (المجموع المفيد في بيان أهمية التوحيد) تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن محمد الهيبسن، جمع فيها مادة نافعة في فضل التوحيد وعظيم قدره، وأنه أهم المهمات، وأن الدعوة إليه وظيفة الرسل وأتباعهم، وبين مزايا كلمة التوحيد وأثرها في زيادة الإيمان وجمع كلمة المسلمين، وبين أن جميع العبادات مبنية على التوحيد، وأن تحقيق التوحيد أعظم سبب لحصول التأييد والنصر، وأن تحقيق الأمن الدنيوي والأخروي معلق بتحقيق التوحيد، كما حذر المؤلف من الشرك وذكر منافاته للتوحيد جملة وتفصيلاً، وبين مسالك الشيطان في إضلال بني آدم عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها وهي التوحيد، وإيقاعهم في شبكة الشرك بأنواعه، وأرشد إلى كيفية التحرز من ذلك، مستشهداً بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار السلفية، وبالجملة فمضمون الكتاب أغنى عن مدحه، ولهذا فإني أوصي إخواني وأبنائي بقراءته والاستفادة منه، لأنه جمع فيه كثيراً مما تفرق في بطون الكتب، فجزاه الله خيراً على جهوده المباركة، ونفع بمؤلفه، إنه سميع مجيب، وكتبه الفقير إلى الله: **عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل** رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً، حامداً الله، مصلياً مسلماً على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

الرياض - ص.ب ... - الرمز البريدي ... - المملكة العربية السعودية - هاتف ... - فاكس ...

تقديم وتقريظ

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا مجموع نفيسٌ وجامعٌ مفيدٌ في بيان أهمية التوحيد ورفيع مكانته وسمو قدره، وأنه أسنى المطالب وأرفعها، وأجلّ المقاصد وأنبلها، وأنه للدين بمثابة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، والروح للبدن، وبه يحيى العبد الحياة الحقيقية، ويسعد السعادة الأبدية السرمدية. فهو شجرة مباركة طيبة في القلب فروعها الأعمال الصالحات والطاعات الزاكيات، وثمارها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة عند الممات، وبه تكفر السيئات، وتقال العثرات، وتغفر الزلات، وتتوالى على العبد العطايا والهبات. كيف لا وهو أحسن الحسنات، وأزكى الطاعات، وزبدة الرسالات، والمقصود من إيجاد المخلوقات، وعلوم الديانات، ولأجله قامت الأرض والسماوات، وخلقت الجنة دار النعيم والملذات، والنار دار العذاب والعقوبات.

فمن ظفر به فاز وغنم، ومن حرمه خاب وخسر وندم؛ لأنه مطلب السعادة الذي عليه مدارها، وأساس الفلاح الذي به قوامها وسكونها وقرارها، والوصول إلى الله وإلى رضوانه بدونه محال، وكل سعي لا يرتكز عليه فهو خسران وضلال.

ومع هذه المكانة العظمى والمنزلة الرفيعة العليا التي يتبوؤها التوحيد، إلا أنه قلّ ما أدركه الناس وحصلوه وظفروا به إلا أن أكثرهم عن معرفته وتعلمه غافلون، وعن تحقيقه والقيام به معرضون، وعن فوائده وثماره وآثاره جاهلون، وفي ضده من اتخاذ الأنداد والشركاء واقعون، (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون).

ولذا فإن حاجة الناس إلى بيانه وإبراز أهميته وعلو مكانته أشد الحاجات، وضرورتهم إلى معرفته والعمل به وتحقيقه أشد الضرورات، بل هي أعظم من حاجتهم إلى طعامهم وشرابهم وسائر شؤونهم؛ لأنه حياة قلوبهم وراحة نفوسهم، وقرة عيونهم، ولذة أرواحهم، وأساس سعادتهم وركيزة نجاتهم وفلاحهم. وفي هذا المجموع المفيد إبراز لأهمية التوحيد في عرض نافع وترتيب متنوع ومنهج رائع، قام على إعداده وجمعه أخونا الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحيم الجيلاني، وهو أمريكي الجنسية مصري الأصل من محبي العلم والسنة وأهلها، وأحسب أنه بذل فيه جهداً نافعاً مباركاً فيما حشده فيه من دلائل، وما ساق فيه من شواهد، وما أورد فيه من فرائد وفوائد، أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يجعله في موازين حسناته يوم يلقاه، وأن ينفع به من شاء من عباده، إنه سميع مجيب. قاله وكتبه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر صبيحة الخميس ... من شهر ... لعام ١٤٢٣ للهجرة، والحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله، نَحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شُرورِ أَنفُسِنا ومِنْ سيئاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومن يُضْلِل فلا هادِيَ لهُ، وأشهدُ أَنْ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُهُ وَرَسولُهُ ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[(١)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[(٢)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[(٣)].

أما بعدُ: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠-٧١.

(٤) تسمى هذه الخُطبة: بخُطبة الحاجة، وقد جرت سنة كثيرٍ من العلماء الابتداء بها في التأليف، وقد رواها الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٧٢)، وقد ألَّف العلاَّمة الألباني رحمه الله رسالة سمَّاها «خطبة الحاجة».

ثم أما بعدُ: فلقد كان الناسُ على التوحيد برهةً من الزمن لا يعرفون غيره، ولا يدينون سواه، ولا ينهلون إلا إياه، حتى جاءتهم الفتن والشرور من كل حدبٍ وصوب، فصرفتهم عن ذلك إلا من رحمه الله تعالى.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[2].

قال قتادة رحمه الله: «كانوا على الهدى جميعاً، فاختلفوا فكان أولُ نبيٍ بُعِث نوح[3]»[4].

فبعث الله النبيين بالتوحيد يجددون للناس دينه الذي ارتضاه لهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[5]، فهو الغاية من خلق الثقلين وإيجادهم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣ .

(٢) سورة يونس، الآية: ١٩ .

(٣) وقد روى البخاري في صحيحه «حديث الشفاعة» فيقول آدم : « **ائتوا نوحاً؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى الأرض...**»، كتاب التفسير، باب سورة البقرة، برقم:(٤٤٧٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنَّة منزلة، برقم: (٤٨٠).

(٤) «جامع البيان» (٢/ ٣٣٤-٣٣٥).

(٥) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

ولم يزل الأنبياء والرسل جميعاً من لدن آدم إلى نبينا محمد ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ يحمون حمى التوحيد ويذودون عن حياضه؛ فدخل الناس في دين الله أفواجاً، وأقبلوا من كل صوب يستضيئون بنور الحق، وينهلون من الشريعة الصافية، ويَغسلون قلوبهم من أدران الشرك، وأوضار المعاصي، حتى لحق نبينا محمداً ﷺ بالرفيق الأعلى بعد أن بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، تاركاً أُمته على مثل البيضاء، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك[(١)].

ثم إن العلماء الربانيين ساروا على منهاج النبوة حذو القذة بالقذة فقاموا بذلك أتم قيام فجاهدوا في الله حق جهاده حتى جاءهم الموت وهم على ذلك، وفي مقدمة هؤلاء العلماء الصحابة الأخيار رضي الله عن المهاجرين منهم والأنصار.

فقد جاء عن صدِّيق هذه الأمة أبوبكر رضي الله عنه أنه قال: «لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعملُ به إلا عملت به؛ فإني أخشى إن تركتُ شيئاً من أمره أن أزيغ»[(٢)].

---

(١) كما في الحديث الصحيح عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد تركتكم على مثل البيضاء: ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك». رواه ابن أبي عاصم في برقم: (٤٨)، قال العلاَّمة الألباني: «حديثٌ صحيح».

(٢) رواه البخاري، كتاب فرض الخُمس، باب فرض الخُمس، برقم: (٣٠٩٣)، ومسلم كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة»، برقم:(٤٥٨٢).

وجاء عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاء الحَجَر الأسود ليقبِّله رفع صوته موضحاً الحكمة من تقبيله: « إني أعلم أنك حَجَر لا تضرُّ ولا تنفع، لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتُك »(١).

قال الإمام الطبري رحمه الله: « إنما قال ذلك عمر؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أنْ يظن الجهال أن استلام الحَجَر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامَه اتِّباعٌ لفعل رسول الله ﷺ لا لأنَّ الحَجَر ينفع ويضر بذاته، كما كانت تعتقده في الأوثان »(٢).

وجاء من حديث أبي الهيَّاج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ **أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**»(٣).

فقاموا بالتوحيد أتمَّ قيام، كيف لا والتوحيد هو حياتهم كما نصَّ على ذلك الإمام المحدث يحي بن عمار السِّجِسْتانيُّ رحمه الله(٤): « العلومُ خمسة؛ علمٌ هو حياة

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، برقم: (١٥٩٧)، ومسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأود في الطواف، برقم:(١٢٧٠).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٤/ ٢٧٨)، ونقله الحافظ ابن حجر أيضاً في «الفتح» (٣/ ٥٤١)، ولم أهتدِ لهذا الأثر في كتب الطبري المطبوعة.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، برقم: (٩٦٩).

(٤) هو الإمام المحدث الواعظ شيخ سِجستان، أبو زكريا، يحي بن عمار بن العنبس، توفي بهَراة، في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، وكانت جنازته مشهودة.«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٨١).

الدين وهو: علم التوحيد، وعلم هو قوتُ الدين وهو: العظة والذِّكر، وعلم هو دواءُ الدين وهو: الفقه، وعلم هو داءُ الدين وهو: أخبارُ ما وقع بين السَّلَف، وعلمٌ هو هلاكُ الدين وهو: الكلام »[(١)].

ونقيضه أعظم الفساد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[(٢)]، إلى أن ختم السورة بقوله: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(٣)]»[(٤)].

وقال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « ومن تدبر أحوال العالم وجد كلَّ صلاحٍ في الأرض فسببُه **توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله** ﷺ، وكل شرٍّ في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، **فسببه مخالفةُ رسوله** ﷺ **والدَّعوة إلى غير الله ورسوله** ﷺ »[(٥)].

ومثله ما قرره الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله في بيان السبيل الأوحد لصلاح القلوب، حيثُ قال: « فلا صلاح للقلوب حتى تستقرَّ فيها معرفةُ الله وعظمتُه ومحبتُه وخشيتُه ومهابتُه والتوكل عليه، وتمتلئ من ذلك، وهذا هو حقيقة التوحيد، **وهو معنى لا إله إلا الله**، فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي

---

(١) «المصدر السابق» (١٧/ ٤٨٢).

(٢) سورة القصص، الآية: ٤.

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٦٢) وما بعدها.

(٥) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٣/ ٨٥٧).

تألهُه وتعرفه وتحبُّه وتخشاه هو الله وحده لا شريك له »[١].

وقال العلاَّمة السِّعْدِي رحمه الله: « وليس شيءٌ من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة، مثل **التوحيد**؛ فإن خير الدنيا والآخرة من **ثمرات التوحيد وفضائله** »[٢].

ولكن للأسف آثر بعض الناس رقَّ العبودية لغير الله وتغافلوا عن نصوص الوحيين الدالة أن العبودية لله وحده لا شريك له.

هربوا من الرِقِّ الذي خُلقوا له فبُلـوا برِقِّ النفـسِ والشيطانِ[٣]

والأمر كما قيل:

قد تُنكر العينُ ضوءَ الشمسِ منْ رمدٍ ويُنكر الفَمُ طعمَ الماءِ منْ سقم

ولذا بيَّن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: « أنَّ قول الجاهل: التوحيد فهمناه!!، أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان » قال الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مقرراً ذلك: «فلا يُزهد في التوحيد، فإن بالزهد فيه يوقع[٤] في ضده، وما هلك من هلك ممن يدعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقَه

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص/ ٩٥).

(٢) « القول السديد في مقاصد التوحيد » (ص/ ٢٣).

(٣) « شرح نونية ابن القيم » (٢/ ٤٦٦).

(٤) في الأصل [يقع] والتصويب من «مقدمة كشف الشبهات» (ص/ ٩).

ومعرفته حق المعرفة وظنوا أنه يكفي الاسم والشهادتان ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله هل هو موجود أو مفقود؟ وهذا كله من عدم التحرز ومعرفة ألفاظ التوحيد لفظة لفظة، من الذي عرف التوحيد كل المعرفة؟ أصله ولله الحمد معروف لكن له أقسام وفروع وشعب، وضده الشرك له فروع»[(١)].

وبعد هذه المدخل اليسير في أهمية التوحيد، أحببت أن أشارك في هذا الخير؛ ليكون بمثابة التذكير لي ولإخواني، وردٍ على منتقصِ قدره ومكانته، وقد سميته: **المجموع المفيد في بيان أهمية التوحيد**، كما أُنبِّه أني لم أستقصِ كل فائدةٍ، ولكنِّي حاولت إلى ذلك سبيلاً، ولا شك أنَّ التقصير حليفي والضعفُ وصفي، كما أني لم أضع في هذا السِفْر حديثاً إلا اشترطتُ صحته، وما عوَّلتُ على الضعيف[(٢)]، والله يغفر لي الزلل ويسددني لإصلاح الخلل.

---

(١) «شرح كشف الشبهات» (ص/ ١٠٨-١٠٩).

(٢) ولابن القيم رحمه الله كلامٌ جميلٌ في هذا الباب عند حديث « الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان » قال فيه: « **ولو كنَّا ممن يحتج بالباطل، ويستحله لروجنا هذا الحديث وذكرنا بعض من أثنى على عبد السلام، ولكن نعوذ بالله من هذه الطريقة، كما نعوذ به من تضعيف الحديث الثابت وتعليله إذا خالف قول إمامٍ معينٍ**»اهـ. «تهذيب السنن (١٢/ ٤٥١)»، وعبد السلام هو ابن صالح أبو الصّلت الهروي، قال الحافظ في التقريب: «صدوق له مناكير وكان يتشيع».(ص/ ٦٠٨).

كما لا أنسى أن أشكر بعد شكر الله ـ تعالى ـ سماحة شيخنا الوالد العلاَّمة **عبدالله بن عبد العزيز العقيل** ـ حفظه الله ـ الذي شَرُفْتُ بتقريظه، فالله أسأل أن يجعلها في ميزان حسناته، وكما لا أنسى شيخي وأستاذي ومن له فضل عليَّ بعد الله تعالى في طلب العلم فضيلة شيخنا العلاَّمة المُحَدِّث **عبدالمحسن بن حمد العبَّاد البدر** ـ حفظه الله ـ وابنه الأستاذ الدكتور **عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر** ـ حفظه الله ـ وغيرهما من مشايخي الأفاضل ـ حفظ الله الجميع ـ.

ولا أنسى والداي الكريمين بالدعاء لهما دائماً بالتوفيق والسداد في القول والعمل ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾، وأن يجزي كل من أعانني بفائدة خير الجزاء، كما أسأله سبحانه ـ جلَّ في علاه ـ أن يوفقنا جميعاً لتحقيق توحيده، وأن يجنِّبنا وأهلينا ووالدينا وذرياتنا وجميع المسلمين أنْ نُشرك به ونحنُ نعلم، ونستغفرهُ فيما لا نعلم إنه غفورٌ رحيمٌ، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١).

وكتبه

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العميسان

عفا الله عنه ووالديه وأهل بيته ومشايخه وجميع المسلمين

كان الفراغ منه ليلة الاثنين الموافق:

التاسع والعشرين من جمادى الأولى من عام تسع وعشرين وأربعمائة وألف

alomisan@yahoo.com

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

تمهيد

فائدة معرفة أهمية التوحيد

معرفة الفائدة لأيِّ علم، والثمرة منه، وأهميته وسيلةٌ عظيمة للتشويق إليه، فيثمر الحثَّ والاجتهاد في تحصيله، وقد كانت هذه هي طريقة نبينا ﷺ في أغلب أحيانه، فتارة بذكر الفضل، قال رسول ﷺ: « **كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان للرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم** »، وتارة بالسؤال كقوله ﷺ: « **يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد؟....** »، وتارة بذكر الثمرة كقوله ﷺ: « **ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان....** » ، وغير ذلك من الأساليب التربوية الناجعة، ولذا فقد بدأ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتابه التوحيد: (بابُ فضل التوحيد وما يُكفر من الذنوب) اقتداءً بذلك، والمتقرر عند العلماء أن «شرف العلم بشرف المعلوم، والباري هو أشرف المعلومات »[(١)].

« **والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب**؛ فروعها الأعمال، وثمرتها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنَّة لا مقطوعة ولا ممنوعة؛ فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك »[(٢)].

---

(١) «أحكام القرآن، لابن العربي» (٢/ ٩٩٣).

(٢) «الفوائد» لابن القيم (ص/ ٢٤٠).

« **فلا إله إلا الله**: شجرة السعادة؛ إنْ غَرستها في منبت التصديق، وسقيتها من ماء الإخلاص، ورعيتها بالعمل الصالح رسخت عروقها، وثبت ساقها، واخضرت أوراقها، وأينعت ثمارها، وتضاعف أُكلها، ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[(١)].

وإنْ غُرست هذه الشجرة في منبت التكذيب والشقاق، وأسقيتها بماء الرياء والنفاق، وتعاهدتها بالأعمال السيئة، والأقوال القبيحة، وطفح عليها غدير العَذِر، ولفحها هجير هَجَر، تناثرت ثمارها، وتساقطت أوراقها، وانقشع ساقها، وتقطعت عروقها، وهبت عليها عواصف القذر، ومزقتها كل ممزق، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[(٢)] »[(٣)].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[(٤)].

ولا يشك عاقلٌ أن من أعظم فوائد معرفة التوحيد الحذر مما يُوقع العبدَ فيما يَنقُضُه أو يَنْقُصُهُ، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة لبيان هذا الأمر الجليل، والحث عليه، والنهي عن ضده بصور عديدة، منها ما سأذكره بمشيئة الله وحده مستعيناً به سبحانه.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٣) «الدُرر السَنية» (٢/ ١١٥).

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

تعريف التوحيد لغةً وشرعاً

التوحيد في اللغة:

قال ابن فارس رحمه الله: « الواو والحاء والدال أصل واحد يدلُ على الانفراد، من ذلك الوحدة »[١].

« وقال الليث رحمه الله: الواحد المنفرد، ثم نقل عن الفراء قوله: التوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد»[٢].

وقال الأزهري رحمه الله: « أما اسم الله جل ثناؤه «أَحَدٌ» فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره، لا يقال: رجلٌ أَحَدٌ، ولا درهم أَحَدٌ، كما يقال: رجل وَحَدٌ، أي فردٌ؛ لأن أحدًا صفة من صفات الله التي استأثر بها، فلا يشركه فيها شيء، وليس كقولك: الله واحدٌ، وهذا شيء واحِدٌ؛ لأنه لا يقال شيء أَحَدٌ، وإن كان بعض اللغويين قال: إن الأصل في الأحد وَحَد... والواحد في صفة الله معناه أنه لا ثاني له، ويجوز أن يُنعت الشيء بأنه واحد، فأما أَحدٌ فلا يوصف به غير الله؛ لخلوص هذا الاسم الشريف به جل ثناؤه »[٣].

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٦/ ٩٠).

(٢) «تهذيب اللغة» للأزهري (٥/ ١٩٢).

(٣) «المصدر السابق» (٥/ ١٩٧-١٩٨).

وقال ابن الأثير رحمه الله: « في أسماء الله تعالى (الواحد) هو الفردُ الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر »(١).

يُفهم من هذا كلِّه أن التوحيد في اللغة هو إفراد الله تعالى بالوحدانية لا شريك له ولا ربَّ سواه، ولا إله غيره.

التوحيد في الشرع:

لا شك أن المعنى الشرعي هو جزءٌ من المعنى اللغوي في الغالب، فقد عرَّفه العلماء بقولهم هو: **الاعتقاد الجازم أن الله وحده هو المستحق للعبودية لا شريك له**، فلا يصرف شيء من العبادة ولا بعضها ـ كالخوف والرجاء والدعاء والذبح والنذر والتوكل عليه ـ إلا له سبحانه وتعالى(٢).

والعبادة هي: « **اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبه اللهُ ويرضاهُ من الأقوالِ والأعمالِ الباطنةِ والظاهرة**؛ فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والمملوك؛ من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وكلُّ ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله ﷺ، وخشية الله،

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٥٩).

(٢) انظر: «منهاج السنة» (٣/ ٢٨٩)، «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ٩٣)، «شرح الطحاوية» (١/ ٢٤).

والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك: هي من العبادة لله »[١].

أقسام التوحيد:

والتوحيد الذي جاء في القرآن والسنة وفي كلام السلف على ثلاثة أقسام[٢] كما دل عليه استقراء[٣] نصوص الكتاب والسنة.

فمثالُ ذلك في القرآن الكريم: أول سورة منه: (سورة الفاتحة) قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤]، فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾هو: من توحيد الإرادة والطلب والقصد، فلفظ الحمد فيه توحيد الإلهية،ولفظ الجلالة ﴿لِلَّهِ﴾ فيه: توحيد الأسماء والصفات فهو دالٌ على الاسم ﴿الله﴾، ولفظ ﴿رَبِّ﴾دالٌ على التوحيد العلمي الخبري وهو توحيد الربوبية فهو ربُ كل شيء ومليكه، ومع ذلك هو من توحيد الأسماء والصفات يدل على اسم ﴿رَبِّ﴾ لله ﷻ، وكذلك ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾اسمان لله تعالى دالان على صفة الرحمة وهكذا باقي

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤٩)، «العبودية» لابن تيمية (ص/ ١٩).

(٢) **تنبيه!! حقَّ الله لا ينقسم، ولكن الذي ينقسم هو أوجه استحقاقه لله تعالى.**

(٣) **الاستقراء**: «هو من جملة الأدلة الشرعية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو الاستدلال بالجزئيات على الكُلِّي، فإن كان تاماً فهو الاستقراء التام، وهو يفيد اليقين».
انظر: «مجموع الفتاوى» (٩/ ١٥٠).

(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

آيات القران الكريم(١).

كما جُمعت أقسام التوحيد الثلاثة أيضاً في قول الله تعالى:﴿ **رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا** ﴾(٢).

وأما السنة النبوية: فعن النبي ﷺ أنه قال: لما سأله ابن مسعود رضي الله عنه عن أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: « **أن تجعل لله نداً وهو خلقك...** »(٣). فبيَّن الرسول الكريم ﷺ استلزام توحيد الربوبية توحيد الإلهية.

ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنَّة** » وزاد همام عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ « **إنه وتر يُحب الوتر** »(٤) فأثبت لله أسماء حسنى وهي تتضمن الصفات العلى، الدالة على ربوبيته وألوهيته(٥).

---

(١) للمزيد انظر: كلام العلاَّمة ابن القيم رحمه الله في هذا إذ بوب باباً في اشتمال سورة الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. «مدارج السالكين» (١/ ٧٥)وما بعدها.

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾، برقم: (٤٤٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب، برقم: (١٤١).

(٤) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها،برقم:(٦٨٠٩).

(٥) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ٣٠)، «مدارج السالكين» (١/ ٧١٩).

وقد جاء عن السَّلف ما يؤيد هذا التقسيم فجاء عن الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله أنه قال: « والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء »[١]. فبين رحمه الله توحيد الربوبية وكذا توحيد الألوهية.

و قال الإمام ابن حبان رحمه الله (ت:٣٥٤هـ) : « الحمد لله المتفرد بوحدانية **الألوهية**، المتعزز بعظمة **الربوبية**، القائم على نفوس العالَم بآجالها، والعالِم بتقلبها وأحوالها، المانِّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نَعْمَائه الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا مُعين ولا مُشير، وخلق البشر كما أراد **بلا شبيهٍ ولا نظير**»[٢].

وقال الإمام ابن بطة رحمه الله (ت: ٣٨٧هـ) وهو يبين اعتقاد أهل السنة والجماعة عموماً: «فدعاهم ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ إلى توحيد الله عز وجل، والإقرار له بربوبيته، واتباع أمره؛ فصبر منهم على الأذى، حتى ظهرت حجة الله على خلقه، وأخلص له التوحيد، وعلا دين الله على كل دين، إلى أن قال: والقرآن من علم الله تعالى، وفيه صفاته العليا وأسماؤه الحسنى »[٣].

---

(١) «الفقه الأكبر» للإمام أبي حنيفة (ص/ ٥١).
(٢) «روضة العقلاء» (ص/ ١٤).
(٣) «الإبانة الكبرى»، «الرد على الجهمية» (١/ ٢١٠-٢١٣)، «الإبانة الصغرى» لابن بطة (ص/ ١١٧).

ثم إنه بيَّن الأنواع الثلاثة مفصلةً فقال رحمه الله: « وذلك أن أصل الإيمان الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدهما: أن يعتقد العبد ربانيته[(١)]؛ ليكون مبايناً بذلك لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

الثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

الثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه؛ إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يُقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته؛ فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده» [(٢)].

وقال الإمام ابن مندة رحمه الله (ت: ٣٩٥هـ) في أول فاتحة كتابه الذي أسماه: « **كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد** »، قال: « باب ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل وأنه أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » [(٣)].

---

(١) في المطبوع (آنيته) والمثبت من رسالة شيخنا أ.د عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر ـ حفظه الله ـ (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد) (ص/ ٣٢) نقلاً عن النسخة الخطية التي وقف عليها شيخنا.

(٢) «الإبانة الكبرى» قسم: الرد على الجهمية (٢/ ١٧٢-١٧٣).

(٣) «كتاب التوحيد»، لابن مندة (١/ ٦١). انظر: تعليق شيخنا الدكتور علي بن ناصر فقيهي ـ حفظه الله ـ **فهو مفيدٌ للغاية (١/ ٢٥)**.

وقال الإمام اللالكائي رحمه الله(ت:٤١٨هـ) « ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي يحي ويميت وينشيء ويقيت ويبديء ويعيد شهادة مقر بعبوديته ومذعن بألوهيته...أما بعد فإن أوجب ما على المرء: معرفة اعتقاد الدين وما كلف الله به عباده من فهم التوحيد وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين »[(١)].

وجاء في كلام الإمام أبي عمرو عثمان الداني رحمه الله(ت:٤٤٤هـ) قوله: « والإيمان بالله تعالى: يتضمن التوحيد له سبحانه، والوصف له بصفاته، والتوحيد له: هو الإقرار بأنه ثابتٌ موجود، وواحدٌ معبود، على ما ورد به قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[(٢)] »[(٣)].

وهذه النصوص والنقول عن أئمة الإسلام فيها أن السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ قبل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ كانوا يقسِّمون التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة إما نصاً، أو مفهوماً[(٤)].

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة » (١/ ٦-٧).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.
(٣) «الرسالة الوافية»، لأبي عمرو الداني (ص/ ١٢٠) مختصراً.
(٤) وللمزيد من المراجع انظر: «كتاب الاقتصاد في الاعتقاد» للمقدسي (ص/ ٧٧)، «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٢)، (٢/ ٣٧)، (٢/ ٤٣٣)، (٢٢/ ٤٤٧) «تجريد التوحيد» للمقريزي(ص/ ٩)، «شرح الطحاوية» (١/ ٢٤)، «تيسير العزيز الحميد» لسليمان بن عبدالله آل الشيخ (ص/ ١٧ومابعدها)، «تطهير الاعتقاد» للصنعاني (ص/ ٤٧)، =

معنى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله »:

ومعناها: « لا معبود بحق إلا الله »، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[١].

قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[٢].

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: « فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية »[٣]. وقال عند قوله تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٤]«وأن لا إله إلا هو، يقول: أيقنوا أيضاً أن لا معبود يستحق الألوهية على الخلق إلا الله، الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة»[٥].

= «الدين الخالص» لصديق حسن خان (١/ ٦١)، «الدر النضيد على أبواب التوحيد» للشوكاني (ص/ ٤)، «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد» لشيخنا الأستاذ الدكتور عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر ـ حفظه الله ـ.

(١) سورة الحج الآية: ٦٢، و سورة لقمان الآية: ٣٠.

(٢) سورة محمد الآية: ١٩.

(٣) «جامع البيان» (٢٦/ ٥٣).

(٤) سورة هود الآية: ١٤.

(٥) «جامع البيان» مختصراً (١٠/ ١١).

وقال العلاَّمة حافظ الحكمي رحمه الله في بيان معناها: « وهذه الكلمة تشتمل على نفي وإثبات: فـ« لا إله » نافياً جميع ما يعبد من دون الله، فلا يستحق أن يعبد، « إلا الله » مثبتاً العبادة لله، فهو الإله الحق المستحق للعبادة، فتقدير خبر (لا) المحذوف « بحق » هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة »(١).

والإله في لغة العرب هو: **المألوه المعبود**، والدليل على تفسير الإله: بالمعبود قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢)، أي يعبد في السماء والأرض(٣)، وليس معناه الخالق، أو الرازق، أو الحاكم أو المميت، ولو كان كذلك لما أنكر ذلك كفار قريش على النبي ﷺ ولما قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾(٤)؛ إذ إن الكفار يقرون بخالقٍ واحد وحاكمٍ واحد، ولكنهم فهموا من الآية المعبود(٥)، ولذلك قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾(٦).

---

(١) «معارج القبول» للحكمي (٢/ ٥١٦) يشير إلى قول الرب ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج الآية: ٦٢، وكذلك سورة لقمان الآية: ٣٠].

(٢) سورة الزخرف، الآية ٨٤.

(٣) انظر: «جامع البيان» (٢٥/ ١٠٤)، «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١١٦)، «فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٧٤٠).

(٤) سورة ص، الآية: ٥.

(٥) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢٥).

(٦) سورة الزمر، الآية: ٣.

شروط كلمة التوحيد

أجمع العلماء على أنَّ لا إله إلا الله لها شروط قد بيِّنت في الكتاب والسنة وأن قائلها لا ينتفع بها حتى يحققها، وهي ثمانية، وقد جُمعت في هذين البيتين:-

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك معْ   محبةٍ وانقيادٍ والقبول لها
وزيدَ ثامنُها الكفرانُ منكَ بما   سوى الإلهِ من الأشياءِ قد أُلها

وقال العلاَّمة حافظ الحكمي رحمه الله في منظومة سُلَّم الوصول:

وبشروطٍ سبعةٍ قدْ قيدتْ   وفي نصوصِ الوَحي حقاً وردتْ
فإنه لا ينتفعُ قائلُها   بالنطقِ حتى يستكملها
العلمُ واليقينُ والقبولُ   والانقيادُ فادرِ ما أقولُ
والصدقُ والإخلاصُ والمحبةُ   وفقكَ اللهُ لما أحبّه[1]

---

(١) يراجع شرح هذه الأبيات في كتاب «معارج القبول» للعلاَّمة حافظ الحكمي رحمه الله (٥١٨/٢).

تفصيلُ شروط «لا إله إلا الله»

أولاً: « العلم بمعناها نفياً وإثباتاً » :

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [(١)]، ونقل الإمام الطبري رحمه الله تفسيرها عن بعض العلماء، فقال: « فوَحَدَ الله جل وعز وأطاعه على علم منه ويقين بتوحيد الله وصحة ما جاءت به رسله »، ونقل أيضاً في الشهادة بالحق قول مجاهد أي: « كلمة الإخلاص، وهم يعلمون أن الله حق» [(٢)].

وجاء عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنَّة » [(٣)]، فهذا شرطٌ لمن يقولها أن يعلمَ معناها وحقيقتها.

ثانياً: « اليقين المنافي للشك والريب »:

وذلك أن يعتقد جازماً وموقناً أن لا معبود بحقٍ إلا الله، لا يستريب في ذلك ولا يشك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(٢) «جامع البيان» (٢٥/ ١٠٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى، برقم: (١٣٦).

وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[١].

فقوله: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « أي لم يشكوا ولم يتزلزلوا بل ثبتوا على حالة واحدة »[٢].

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **من قال لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنَّة** »[٣].

وعنه رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ أنه قال:« **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنَّة** »[٤].

وقد ذم الله من كان في قلبه شك في دينه، فقال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[٥].

ثالثاً: « الإخلاص المنافي للشرك والرياء »:

وذلك بأن يُخلص العبد لله عز وجل في أفعاله وأقواله، والإخلاص: هو «أن لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادة النفس»[٦]، وقد أمر الله به في غير ما

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٥.
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١٨٦).
(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، برقم: (٣١).
(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى، برقم: (١٣٨).
(٥) سورة التوبة الآية: ٤٥.
(٦) هذا هو تعريف ابن القيم رحمه الله في كتابه: «إعلام الموقعين» (٢/ ١٧١)و(٢/ ٣١٥).

آية قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[(١)].

فسَّرها الحافظ ابن كثير رحمه الله بقوله: « أي أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات، فيما أخبروا به عن الله وما جاؤوا به من الشرائع وبالإخلاص له في عبادته، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين؛ أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، وأن يكون خالصاً من الشرك »[(٢)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[(٣)].

« أي: فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد؛ ولهذا قال: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[(٤)] أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده، لا شريك له »[(٥)].

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٢٩.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٨٥).

(٣) سورة الزمر الآية: ٢.

(٤) سورة الزمر الآية: ٣.

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٨٤).

وجاء في حديث عِتْبَان بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **إنَّ الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** »[(١)].

رابعاً: « الصدق المنافي للكذب »:

أنْ يصدق العبد مع ربه في قول كلمة التوحيد، فلا يكون كاذباً فيما يعتقد أو يقول؛ لأن ذلك من خصال المنافقين، قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[(٢)].

فعن معاذٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار** »[(٣)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**أبشروا وبشروا الناس من قال لا إله إلا الله صادقا بها دخل الجنة**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، برقم: (٤٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، برقم: (٣٣).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١-٣.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قومٍ كراهية أن لا يفهموا، برقم: (١٢٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، برقم: (١٤٨).

(٤) رواه أحمد في «مسنده» (٣٢/ ٤٦٥)، برقم: (١٩٦٨٩)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في «الصحيحة» برقم: (١٣١٤).

خامساً: « الانقياد المنافي للترك »:

فمن قال لا إله إلا الله، فإنه يلزمه الانقياد لما تقتضي هذه الكلمة من معنى؛ من إسلام الوجه لله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعدم مشاقة الله ﷻ ورسوله ﷺ في أمره قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[4].

والإسلام هو: الاستسلام لله ﷻ بالطاعة، قال ابن كثير رحمه الله عن معنى إسلام الوجه: « أي أخلص له العمل، وانقاد لأمره، واتبع شرعه »[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٩٥).

سادساً: «المحبة المنافية للبغض والكره»[(١)]:

وذلك بأن يحب هذا القائل لهذه الكلمة الله ورسوله والمؤمنين ودين الإسلام، وأن لا يُقدم على محبة الله ورسوله أحدًا لا ولداً ولا والداً، قال تعالى ذاماً المشركين الذين يحبون آلهتهم مثل حبهم الله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[(٣)].

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[(٤)].

وجاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **أوثق عرى الإيمان الموالاةُ في الله، والمعاداةُ في الله، والحبُ في الله، والبغضُ في الله**»[(٥)].

---

(١) انظر: «التحفة العراقية» لابن تيمية (ص/ ٤٤٣) ففيه كلامٌ نفيسٌ عن المحبة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٤) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب النبي ﷺ من الإيمان، برقم: (١٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنَّة قطعاً، برقم:(١٦٨).

(٥) رواه أحمد في «مسنده» (٣٠/ ٤٨٧)، برقم: (١٨٥٢٤)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في الصحيحة برقم: (١٧٢٨).

سابعاً: « القبول المنافي للرد »:

يَقْبَلُ من شهد أن لا إله إلا الله كل ما جاء عن الله ﷻ على مراد الله ﷻ، وما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ، قبولاً حقاً بالقلب واللسان، وقد جاء الوعيد فيمن يشاقق الله ولا يقبل ما حكم به، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[3].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَثَلُ ما بعثني اللهُ به من الهدى والعلم كمثلِ الغيث الكثير أصابَ أرضًا، فكان منها نقيَّةٌ قبلت الماء، فأنبتت الكَلأَ والعشبَ الكثير، وكانت منها أجادبُ، أمسكت الماءَ، فنفع اللهُ بها الناسَ فشربُوا وسَقَوا وزرَعُوا، وأصاب طائفةً أُخرى، إنما هي قيعانٌ، لا تُمسك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مَثَلُ من فَقُهَ في دين الله ونفعَهُ ما بعثني اللهُ به**

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٣) سورة النور، الآية: ٥١.

فعلِم وعلَّم، ومَثَلُ من لم يرفعْ بذلكَ رأساً ولم يقبلْ هُدى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ به»[(١)].

ثامناً: « الكفر بما يعبد من دون الله تعالى »:

كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[(٢)].

وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه ـ طارق بن أُشيم ـ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حُرِّم ماله ودمه، وحسابه على الله** »[(٣)].

ولذا « قال وهب بن منبه رحمه الله: لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنَّة؟ قال وهب: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان؛ فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك »[(٤)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب فضل من عَلِم وعَلَّم برقم: (٧٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبيﷺ من الهدى والعلم، برقم: (٢٢٨٢).

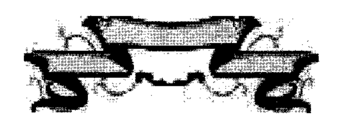
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، برقم:(١٣٠).

(٤) رواه البخاري تعليقاً، كتاب الجنائز، باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، وانظر: «تحقيق كلمة الإخلاص» لابن رجب، ضمن مجموع رسائله (٣/ ٤٧).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله بعد أن أورد أحاديث تدل على فضل لا إله إلا الله، قال: « المراد من هذه الأحاديث: أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنَّة والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرطٍ من شروطه، أو لوجود مانع؛ وهذا قول الحسن ووهب بن منبه، وهو الأظهر »[(١)].

وبعد هذا العرض الموجز في بيان حقيقة **الكلمة الطيبة**؛ وبيان معناها وشروطها، أشرعُ مستعيناً بالله في بيان ما أردت تقريره في هذه الرسالة اليسيرة من فوائد تُبين أهمية التوحيد وفضله، رزقنا الله تحقيقه والعمل به في كل وقتٍ وحين إنه ولي ذلك والقادر عليه.



---

(١) «تحقيق كلمة الإخلاص»(٣/ ٤٧).

بيان أسباب أهمية التوحيد

الأوليات العشر:

١ - التوحيد هو أول عهدٍ أخذه الله على بني آدم عليه السلام قبل خلقهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[١].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « **أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم ﷺ بنَعْمَانَ - يعني عرفة - : فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذَر كلهم مُثُلاً، وذكر الآية** »[٢].

---

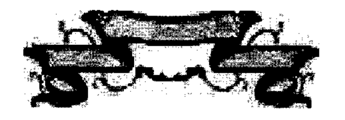
(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢-١٧٣.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٧٢)، برقم: (٢٤٥٥)، وابن أبي عاصم في «السُنَّة» (١/ ١٦٠)، برقم: (٢٠٨)، والحاكم، كتاب الإيمان، باب تفسير آية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ

=

ومما يوضح ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **يُقال للرَجُل من أهلِ النَّار يوم القيامة: أرأيتَ لو كان لك ما على الأرض من شيءٍ، أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تُشرك بي شيئاً، فأبيتَ إلا أن تُشرك بي** »[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يُخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو»[(٢)].



= ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾، برقم: (٨٢). قال الحاكم: «صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم: (٣٣٣٤)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب طلب الكافر الفداء، برقم:(٧٠٨٣).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥٠٠).

٢- التوحيد هو أولُ ما يُفطر عليه المولود وهو سابقٌ للشرك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جَدْعَاء؟**[(١)] »، قال أبو هريرة رضي الله عنه: واقرؤوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[(٢)].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « **فجمع النبي ﷺ بين الأمرين: تغيير الفطرة** بالتهويد والتنصير، وتغيير الخِلقة بالجدْع، وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يغيرهما؛ فغير فطرة الله بالكفر، وهو تغيير الخَلْقة التي خُلقوا عليها، وغير الصورة بالجدع والبتك؛ فغير الفطرة إلى الشرك، والخِلْقة إلى البتك والقطع، فهذا تغيير خلقة الروح، وهذا تغيير خلقة الصورة »[(٣)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « **فإن الفطر مشاهدة**[(٤)] بوجوده ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة »[(٥)].

---

(١) جَدْعَاء: أي مقطوعة الأطراف، أو واحدها. «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٢٤٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الروم، برقم: (٤٧٧٥)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم: (٢٦٥٨).

(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٥).

(٤) هكذا في الأصل ولعلها [شاهدة].

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٥١).

وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال ذات يومٍ في خطبته: « **ألا إن ربي أمرني أن أُعلِّمكم ما جهلتم مما علَّمني يومي هذا، كل مالٍ نحلتُه عبداً حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم**[1] **عن دينهم، وحَرَّمَتْ عليهم ما أحللْتُ لهم، وأَمَرَتْهُم أن يُشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً، وإنَّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهُم وعجمهُم، إلا بقايا من أهل الكتاب** »[2].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « فإنَّ العباد وإن كانوا مفطورين على معرفة الله ومحبته وتألهه فإنَّ كل مولودٍ يولد على الفطرة، وهي سلامة القلب، وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام، وتهيؤه له، لكنهم محتاجون أشد الحاجة إلى ما يحمل به قوتهم العلمية والعملية، وهو العلم النافع والعمل الصالح، وبذلك يصيرون مسلمين بالفعل، بعد أن كانوا مسلمين بالقوة، فلذلك أرسل الله الرسل وأنزل معهم الكتب؛ ليرشدوا الخلق إلى ما فيه سعادتهم، وفلاحهم في دنياهم وآخرتهم، وضمن لهم أن من اتبع هداه الذي أرسل به رسله فلا يضل ولا يشقى »[3].

---

(١) أي: استخفتهم فجالوا معهم في الضلال. «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٣١٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنَّة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنَّة وأهل النار، برقم: (٢٨٦٥).

(٣) مقدمة تشتمل على أن جميع الرسل كان دينهم الإسلام، «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب» (٢/ ٥٥٥)، ومثله في «زاد المعاد» (١/ ١٥).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمرَ رجلاً من الأنصار أن يقول إذا أخذ مضجعه: « **اللهم أسلمتُ نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مات مات على الفطرة** »(١).

ومعنى فطرة الله: « دين الله وهو التوحيد فإن الله فطر الناس عليه »(٢).

ولذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله:« عليك بدين الصبي الذي في الكُتَّاب والأعرابي وَالْهُ عما سوى ذلك »(٣).

وقال يزيد بن هارون الواسطي رحمه الله: « من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يَقَرُ في قلوب العامة فهو جَهْمي »(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والذي تقرر في قلوب العامة هو ما فطر الله تعالى عليه الخليقة من توجهها إلى ربها تعالى عند النوازل والشدائد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب النوم على الشق الأيمن، برقم: (٦٣١٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الدعاء عند النوم، برقم: (٢٧١٠).

(٢) «اللباب في علوم الكتاب»، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ص/ ٤٠٩).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي (١/ ١٥٣)، والدارمي، باب من قال: العلم: الخشية وتقوى الله، برقم: (٣١٤).

(٤) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «السُنَّة» (١/ ١٢٣)، برقم: (٥٤) بإسنادٍ «حَسَن»، وجوَّد إسناده العلاَّمة الألباني في «مختصر العلو» (١٦٨).

والدعاء والرغبات إليه تعالى نحو العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة من غير موقف وقّفهم عليه ولكن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة حتى يجهمه وينقله إلى التعطيل من يقيض له »[1].

وقد ذكر الألوسي رحمه الله : « أن أعرابياً مرَّ على الجهم بن صفوان وهو يدعو الناس إلى مذهبه الباطل ـ نفي الصفات وتعطيلها ـ فأنشد الأعرابي قائلاً:

ألا إن جهماً كافرٌ بان كفره ... ومن قال يوماً قول جهم فقد كفر
لقد جنَّ جهمٌ إذ يسمي إلهه ... سميعاً بلا سمع بصيراً بلا بصر
عليماً بلا علم رضياً بلا رضا ... لطيفاً بلا لطف خبيراً بلا خبر
أيرضيك أن لو قال ياجهم قائلٌ ... أبوك امرؤ حرٌ خطير بلا خطر
مليحٌ بلا ملح بهي بلا بها ... طويلٌ بلا طول يخالفه القصر
حليمٌ بلا حلم وفيٌ بلا وفا ... فبالعقل موصوف وبالجهل مشتهر
جوادٌ بلا جودٍ قوي بلا قوى ... كبيرٌ بلا كِبَر صغيرٌ بلا صِغر
أمدحاً تراه أم هجاء وسبة ... وهزأ كفاك الله يا أحمقَ البشر
فإنك شيطانٌ بعثت لأمة ... تصيرهم عما قريب إلى سَقر

قال الإمام عبد الله ابن المبارك رحمه الله: **فألهمه الله عز وجل حقيقة مذهب أهل السُّنة، ورجع كثيرٌ من الناس ببركة أبياته،** وكان ابن المبارك يقول: **إنَّ الله بعث**

---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ٢١٤).

الأعرابي رحمةً لأولئك »[١].

وقال أعرابيٌّ آخر: « يا سبحان الله!!، إن البَعْرَ ليدلُ على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فِجَاج، وبحارٌ ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟ »[٢].

فالتوحيد سابق للشرك؛ إذ هو الأصل، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين »[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « إنَّ الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص، كما كان أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام، حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان بدعة من تلقاء أنفسهم لم ينزل الله بها كتاباً ولا أرسل بها رسولاً، بشبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة والفلسفة الحائدة »[٤].

---

(١) «جلاء العينين في مُحاكمة الأحمدين»، للألوسي (ص/ ١٥١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٦٨)، «معارج القبول» للحكمي (١/ ١٣٦).

(٣) «جامع البيان» (١/ ١٩٤)، والحاكم في «مستدركه» (٢/ ٥٤٦) وقال: «صحيحٌ على شرطِ البخاري ولم يخرجاه» «ووافقه الذهبي».

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٠٣).

٣- التوحيد هو أول نعمة عدَّها الله علينا في سورة النِّعم فهو أعظم النِّعم وأجلها.

قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[(١)].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « وهذه الآية أول ما عدَّ على عباده من النِّعم في سورة النِّعم التي تسمى النحل، ولهذا قال ابن عيينة رحمه الله: ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لأهل الجنَّة كالماء البارد لأهل الدنيا، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب في الآخرة»[(٢)].

ومن ذلك أيضاً ما نصَّ عليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بقوله: « **المسألة العاشرة**[(٣)]: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾[(٤)].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١-٣.

(٢) «كلمة الإخلاص» (٣/ ٧٤-٧٥).

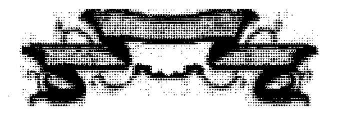
(٣) وهي المسائل التي قرَّرها شيخ الإسلام بعد نهاية كلِّ بابٍ يورده في كتابه « التوحيد».

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٢.

وختمها بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾[١].

وبيَّن ـ سبحانه وتعالى ـ عظيم هذه المسألة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾.

المسألة الحادية عشرة: آية النساء التي تُسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[٢] »[٣].



---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.
(٣) «كتاب التوحيد» (ص/ ٩-١٠)، الباب الأول.

٤ - التوحيد هو أول ركنٍ من أركان الإسلام ودعائمه العظام.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **بني الإسلام على خمس: شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان** »[1].

وهذا يدلُّ على أن التوحيد هو أول أركان الإسلام ودعائمه العظام، وكونه له الأولية واضحٌ بدلالة الكتاب والسنَّة؛ وذلك لأنه أساسُ كلِّ خير وبه توزن الأعمال فتُقبل أو تُرد، فهو بوابة الإسلام ومن تمسَّك به هُدي إلى دار المُقامة والسَلام.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، بابُ قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، برقم:(٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العِظام، برقم: (١٦).

٥- التوحيد هو أول أمرٍ بدأ به رسول الله ﷺ وكافة الرسل من قبله، بل الغاية من إرسالهم.

« إن القرآن الكريم يقصُّ علينا في جلاءٍ ووضوحٍ أن أول ما يدعوا إليه الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين هو توحيد الله، وأول ما ينكرونه على قومهم الشرك ومظاهره، وعلى حكم هذه السنة الرشيدة جاءت بعثة خاتم النبيين ﷺ، فعنيت بالدعوة إلى التوحيد، والتحرز من الشرك، والتحذير منه، وما ذلك إلا لشدة الحاجة إلى معرفته، وإنك لتجد تلك العناية ظاهرة في الكتاب وأطوار البعثة وأركان الدين »[1].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾[4].

---

(١) «الشرك ومظاهره»، للعلاَّمة مبارك الميلي (ص/ ٤٤).

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٤) سورة الجن، الآية: ١٩-٢٠ .

قال الحسن البصري رحمه الله: « ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يدعو الله يقول: (لا إله إلا الله) »(١).

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾(٢).

وجاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ جمع الناس في سوق ذي المَجاز فقال لهم: « **يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا!** »(٣).

وفي حديث أبي سفيان رضي الله عنه وقصته مع هرقل، جاء فيه: « قال ـ أي هرقل ـ ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم »(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « الرسل افتتحوا دعوتهم بالأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه كما أخبر الله عن نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وقومهم كانوا مقرين بالخالق لكن كانوا مشركين يعبدون غيره، كما كانت العرب الذين بعث فيهم محمد ﷺ »(٥).

---

(١) «جامع البيان» (٢٩/ ١١٧).
(٢) سورة الزمر، الآية: ١١.
(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٢٥/ ٤٠٤)، برقم: (١٦٠٢٣).
(٤) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، برقم: (٧)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب كتب النبي ﷺ إلى هرقل ملك الشام يدعوه إلى الإسلام، برقم:(٤٦٠٧).
(٥) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٣٢)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٣٦٩)، وانظر:«معارج القبول» (٢/ ٥٠١ وما بعدها).

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال لصاحبي السجن: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن يوسف عليه السلام أنه: « جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وُصْلةً وسبباً إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام!، لما رأى في سجيتهما من قبولِ الخير والإقبال عليه، والإنصاتِ إليه »[2].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: « **دعاهم يوسف** عليه السلام **إلى التوحيد بأنواع من الأدلة، أحدها: أنه ذكر أن هذا العلم الذي تميز به عليهما وعلى غيرهما أنه من تعليم ربه إياه؛ الثاني: أنه حكيم يضع العطاء مواضعه، فشرفني بسبب ترك الشرك وفعل التوحيد؛ الثالث: أن ذلك الفعل والترك، هو ملة الأنبياء** »[3].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٨-٤٠.
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣٩٠).
(٣) «الدُرر السَنية» (١٣/ ٢٥٢-٢٥٣).

فلا بد لكل داعيةٍ مخلصٍ أن يبدأ بما بدأ الله به ورسوله ﷺ وهو الأمر بتجريد التوحيد لله ﷻ والدعوة إليه، والتحذير من الشرك وأهله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فهو سرُّ نجاح الدعوة والداعية، كيف لا وهو منهج الأنبياء قاطبة ومن سار على طريقهم من المؤمنين، وهو الطريق الأوحد للثبات على هذا الدين القويم والصراط المستقيم، الذي من حاد عنه كان من المُفَرِقين الضالين، وإن زعم الهداية والإصلاح.



٦- التوحيد هو أول واجبٍ على المكلف.

جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أخبر معاذاً رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن، قال له:« **إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك...** » الحديث[(١)].

ولذا بوبَّ الحافظ ابن مندة رحمه الله على هذا الحديث قوله:« ذِكْرُ أول ما يَدعى إليه العبد وهو التوحيد »[(٢)].

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله: « التوحيد قد يكفي وحده في إسلام العبد ودخوله الجنة، فإنه إذا تكلم بكلمة التوحيد ثم توفي قبل وجوب شيء من الفروع عليه كفى التوحيد وحده؛ فالتوحيد ليس فقيراً إليها بل هي الفقيرة إليه في صحتها »[(٣)].

وجاء من حديث أبي الهيَّاج الأسدي ، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه :« **ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا**

---

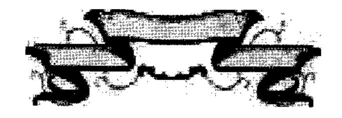
(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله، برقم: (٧٣٧١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، برقم: (١٢١) بلفظ: «فادعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله».

(٢) «كتاب الإيمان» (١/ ٣٧٩).

(٣) «شرح كشف الشبهات من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» (ص/ ٩٥).

طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته »[١].

وفي هذا بيانٌ واضح أن البدء بالتوحيد في الدعوة إلى الله تعالى ليس هو خاصٌ بالنبي ﷺ بل هو له ﷺ ولأتباعه الذين يقتدون به، ويهتدون بهديه، كما قال ربُّ العزة في كتابه الكريم: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢].



(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، برقم: (٩٦٩).

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

٧- التوحيد هو أول علمٍ لابد للعبد معرفته ولا يسعه جهله.

قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[١].

وقد بيَّن الإمام ابن القيم رحمه الله سرَّ كلمة التوحيد وحقيقتها بقوله: « وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره: بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك: من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحبه تبعا لمحبته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يُتاب إلا إليه، ولا يطاع إلا أمره، ولا يحتسب إلا به، ولا يستعان في الشدائد إلا به، ولا يلتجأ إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، يجتمع ذلك في حرف واحد، وهو: أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة؛ فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله »[٢].

وقال العلاَّمة السِّعْدِي رحمه الله : في تفسير الآية: « وهذا العلم الذي أمر الله به ـ وهو العلم بتوحيد الله ـ فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد،

---

(١) سورة محمد الآية: ١٩.

(٢) «الجواب الكافي» (ص / ٢٠٥).

كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا، وعلما ـ وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون ـ قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد ـ على تكرر الباطل والشبه ـ إلا نمواً وكمالاً.

هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير ـ وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته ـ فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره »[١].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص/ ٧٨٧).

٨- التوحيد هو أول أمرٍ جاء في كتاب الله تعالى والنهي عن الشرك مثله.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: « أي وحّدوا ربكم الذي خلقكم »[(٢)].

ونقل الإمام البغوي رحمه الله: « عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد »[(٣)].

وقال الإمام الطبري رحمه الله: « والذي أراد ابن عباس رضي الله عنهما ـ إن شاء الله ـ بقوله في تأويل قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ وحدوه: أي أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه »[(٤)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١-٢٢.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٩٥).

(٣) «معالم التنزيل» (١/ ٢٥).

(٤) «جامع البيان» (١/ ١٦٠).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن معاذاً رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: « **إنك تَقْدُمُ على قومٍ أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عِبادةُ الله عز وجل، فإذا عرفوا الله**[١]**، فأخبِرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات** »[٢].

وفي لفظ آخر: « **إلى أن يوحدوا الله، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم** »[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « **ويجمع بينها بأن المراد بعبادة الله توحيده وبتوحيده الشهادة له بذلك ولنبيه بالرسالة، ووقعت البداءة بهما لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما** »[٤].

ولذا قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: « **إنَّ العبادة هي التوحيدُ؛ لأنَّ الخُصومة فيه** »[٥].

---

(١) أي: عرفوا الله بتوحيده، لا بالنظر والاستدلال الذي يزعمه المتكلمون، ويزعمون أنه أول واجب على المكلف مستدلين بهذا الحديث زعموا! ولا شك أن ألفاظ الحديث تردُّ عليهم بدعتهم، فمن ألفاظه: «أن يوحدوا الله»، و«أن يشهدوا أن لا إله إلا الله»، و«أن يعبدوا الله»، وانظر كلام الحافظ ابن حجر في الجمع بين هذه الألفاظ.

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، برقم:(١٢١) بلفظ: «فادعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، وهذا لفظه، وأصله في البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله، برقم:(٧٣٧١).

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، برقم: (٧٣٧٢).

(٤) «فتح الباري» (٣/ ٤٢٠).

(٥) «كتاب التوحيد» (ص/ ٩).

٩- اشتمال أول وأفضل سورة في القرآن على أنواع التوحيد الثلاثة.

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « اعلم أن هذه السورة - أي الفاتحة - اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن؛ فاشتملت على التعريف بالمعبود - تبارك وتعالى - بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها، وهي: «الله، والرب، والرحمن» وبُنيت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة »[1].

وقال العلاَّمة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ توحيد، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ توحيد، ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ توحيد، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ توحيد، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ توحيدٌ متضمنٌ لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد الذين أنعم الله عليهم، ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الذين فارقوا التوحيد »[2].

---

(١) «مدارج السالكين»، لابن القيم (١/ ٤٨).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٤٣).

١٠- التوحيد هو أول أمرٍ يَفتتح العبدُ به يومه ويختمه به.

ومما يدلُ على هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « **أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾** »[١].

وجاء عن أُبي بن كعب رضي الله عنه، قال: « **كان رسول الله ﷺ يوتر بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾** »[٢].

وعن نوفل الأشجعي رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال لنوفل: « **اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثم نَمْ على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك** »[٣].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب صلاة المسافرين، برقم: (٧٢٧).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الوتر، برقم: (١٤٢٣)، والترمذي، كتاب الوتر، باب ما يقرأ في الوتر، برقم: (٤٦٣)، وقال: «حسنٌ غريب»، والنسائي، كتاب قيام الليل، باب القراءة في الوتر، برقم: (١٧٣٠)، و ابن ماجة، كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في الوتر، برقم: (١١٧١)، والحاكم، كتاب الوتر، برقم: (١١٨٥) وقال: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، «ووافقه الذهبي».

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، برقم: (٥٠٥٥)، و الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، برقم: (٣٤٠٣) «وصحّحه».

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « فسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال وبيان ما يجبُ تنزيهه عنه من النقائص والأمثال، وسورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، فيها إيجاب عبادته وحده، لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه، ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر وسنة الوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته؛ ليكون مبدأ النهار توحيداً وخاتمته توحيداً»[(١)].

وقال رحمه الله مبيناً ذلك في نونيته[(٢)]:

ولذاك قد شُرعا[(٣)] بسنة فجرنا ... وكذاك سنة مغرب طَرَفآن
فيكون مُفْتَتَحُ النهار وخَتْمُهُ ... تجريدك التوحيد للدَّيَّان
وكذاك قد شُرعا بخاتم وترنا ... ختماً لسعي الليل بالآذان
وكذاك قد شُرعا بركعتي الطوا ... ف وذاك تحقيقٌ لهذا الشأن
فهما إذاً أخوان مصطحبان لا ... يتفارقانِ وليس ينفصلآن

ومما كان يداوم عليه رسولنا الكريم ﷺ عند نومه، قراءة أواخر سورة البقرة، فعن أبي مسعودٍ البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **الآيتان من آخر**

---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ٩٤).

(٢) نونية ابن القيم مع شرح ابن عيسى رحمه الله (٢/ ٤٥٠).

(٣) أي: «سورة الإخلاص وسورة الكافرون».

سورة البقرة، من قرأهما في ليلة كفتاه »[(١)].

وجاء عن النبي ﷺ أنه: «**كان إذا تَضَوَّر**[(٢)] **من الليل قال: لا إله إلا الله الواحد القهار، ربُّ السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**»[(٣)].

ولا أدلَّ على ذلك مما ورد في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في أذكار الصباح والمساء وغيرهما، فهي مشتملة على نصوص عديدة في التذكير بتوحيد الله تعالى واستحضاره في كل حين.



---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب (١٢)، برقم: (٤٠٠٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، برقم: (٨٠٨).

(٢) تَضَوَّر: تلوَّى. «لسان العرب» (٨/ ١٠٠).

(٣) رواه الحاكم، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل، باب الاعتداء في الدعاء والطهور، برقم: (٢٠٢٤)، وقال: «حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، و ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الزينة والتَطَيُّب، باب آداب النوم، برقم: (٥٥٣٠)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في «الصحيحة» برقم: (٢٠٦٦).

١١- التوحيد هو أول ما يُسْأَلُ عنه العبد في قبره.

ففي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«فتعاد روحه في جسده ـ أي المؤمن ـ ، فيأتيه ملكان، فيُجلسانه، فيقولان له: من ربُك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له. ما دينُك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بعث فيكم؟، فيقول: هو رسولُ الله، فيقولان له: ما عِلْمُك؟ فيقول: قرأتُ كتاب الله فآمنتُ به وصدقتُ، فيُنَادي منادٍ من السماءِ أن صَدَقَ عبدي فأفرشوه من الجنَّة، وافتحوا له باباً إلى الجنَّة، قال: فيأتيه من رَوْحِها وطِيْبِها، ويفسحُ له في قبرِهِ مدَّ البصر، قال ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوجهِ، حَسَنُ الثيابِ...»** [1].

وعلى هذا الحديث بنى شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله رسالته القيمة النافعة: **«الثلاثة الأصول»**.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، برقم: (٤٧٥٠)، وابن ماجه عن أبي هريرة، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم:(٤٢٦٢). وأحمد في «مسنده» عن البراء (٣٠/ ٤٩٩)، برقم: (١٨٥٣٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣١٦)، برقم: (٣٩٠)، وقال: «حديثٌ صحيحُ الإسناد».

باقي فضائل التوحيد

١٢- التوحيد هو الغاية من خلق الخلق.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [١].

ومعنى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: «ليوحدون».

ساق الإمام الطبري رحمه الله بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [٢]، أي: «وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم» [٣].

فالغاية من خلق الخلق هي توحيد الله سبحانه، فهل يحق للعبد أن يصرف أوقاته ويُمضي أيامه دون التفات إلى هذه الغاية السامية، لا شك أنه خسران أيما خسران، والذي ينبغي مراعاتها حق رعايتها، والعمل على تحقيقها، والظفر بها، فالفوز والنجاح معلق بها، والخذلان والخسارة بالانصراف عنها.

---

(١) الذاريات الآية: ٥٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١.
(٣) «جامع البيان» (١/ ١٦٠).

١٣- التوحيد هو حقُ الله على العِباد.

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[(١)].

وجاء عن النبي ﷺ كما في حديث معاذٍ رضي الله عنه: « **يا معاذ أتدري ما حق الله على العِباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟، قال: الله ورسوله، أعلم، قال: أن لا يعذبهم** »[(٢)].

وفي هذا الحديث وجوبُ « معرفة حق الله علينا »[(٣)] وهو بلا شك أعظم الحقوق على الإطلاق، فلذى ينبغي أن تؤدى الحقوق لأهلها دون تطفيف بالمكيال ودون زيادة أو نقصان.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبيﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، برقم: (٧٣٧٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين، برقم:(٣٠).

(٣) وهي المسألة الثالثة عشرة من مقدمة كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

١٤- التوحيد هو أشرفُ علمٍ على الإطلاق.

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « وأفضل العلمِ العلمُ بالله، وأعلى الحبِّ الحبُّ في الله، وأكمل اللذة بحسبهما»[2].

وجاء عنه أيضاً: « استشهد بهم على أجل مشهودٍ به وأعظمه وأكبره، وهو شهادة أن لا إله إلا هو، والعظيم القدر إنما يَستَشهدُ على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم »[3].

وقال رحمه الله: « فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والردَّ على جميع هذه طوائف، فتضمنت أجلَّ شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجلّ شاهدٍ، بأجلّ مشهودٍ به »[4].

وقال العلاَّمة السِّعْدي رحمه الله: « وفي هذا دليلٌ على أن أشرف الأمور علم التوحيد؛ لأن الله شهد بنفسه، وأشهد عليه خواص خلقه »[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٨.
(٢) «الفوائد»، لابن القيم (ص/ ٨٣).
(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٢٠).
(٤) «مدارج السالكين» (٤/ ٤٤٣) بتصرف يسير.
(٥) «تيسير الكريم الرحمن» (ص/ ١٢٥).

١٥- سبعون ألفاً من أهل التوحيد يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب.

جاء في حديث ابن عباس ﵄ قال: قال النبي ﷺ: «**عُرِضَت عليَّ الأمم، فأجد النبي يمرُّ ومعه أُمته، والنبي يمرُّ ومعه النفر، والنبي يمرُّ ومعه العَشْر، والنبي يمرُّ ومعه الخمسة، والنبي يمرُّ وحده، فنظرت فإذا سوادٌ كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سوادٌ كثير، فقال هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قُدَّامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلتُ: ولِـمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»[١].

ولا شك أن هذا الفضل الذي اكتسبوه هو « لتحقيقهم توحيد ربِّ العالمين »، كما نصَّ على ذلك العلماء[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنَّة سبعون ألفاً بغير حساب، برقم:(٦٥٤١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنَّة بغير حساب ولا عذاب، برقم: (٥٢٠).

(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٢٢٧).

١٦- التوحيد أساسٌ لدخول جنات النعيم.

ومما يدلّ على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: « **تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى قال: النبي ﷺ: « من سره أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة فلينظر إلى هذا** »[1].

وجاء عنه أيضاً رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: « **من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنَّة** »[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنَّة** »[3].

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله**

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، برقم: (١٣٩٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، برقم: (١٤).

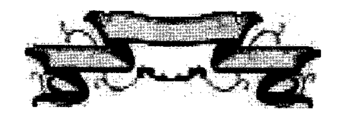
(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، برقم: (٩٩).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة، برقم: (٢٧٠).

ورسوله وكلمتهُ ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنَّة حق والنار حق، أدخله الله الجنَّة على ما كان من العمل »(١).

وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما، إلا دخل الجنة**»(٢).

ومنه ما ثبت عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبشروا وبشروا الناس، من قال: لا إله إلا الله، صادقاً بها دخل الجنَّة**»(٣).



---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾، برقم: (٣٤٣٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم: (٢٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنَّة قطعاً، برقم: (١٣٨).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٣٢/ ٤٦٥)، برقم: (١٩٦٨٩)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في «الصحيحة» برقم: (١٣١٤).

١٧- صاحبُ التوحيد محرمٌ على النار.

جاء في حديث عِتبان بن مالك رضي الله عنه، قول رسول الله ﷺ: « **إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** »[(١)].

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال أن رسول الله ـ ومعاذ رديفهُ على الرحل ـ قال:« **يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار** ».

قال: «يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال: **(إذاً يتكلوا)** **وأخبر بها معاذ رضي الله عنه عند موته تأثماً** »[(٢)].

قال العلاَّمة سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله عن سبب تكفير التوحيد للذنوب: « لأن من أتى به ـ أي التوحيد ـ تاماً فله الأمن التام والاهتداء التام، ودخل الجنَّة بلا عذاب، ومن أتى به ناقصاً بالذنوب التي لم يتب منها، فإن

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، برقم: (٤٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، برقم: (٣٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قومٍ كراهية أن لا يفهموا، برقم: (١٢٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنَّة قطعاً، برقم: (١٤٤).

كانت صغائر كفرت باجتناب الكبائر لآية النساء والنجم[(١)]، وإن كانت كبائر فهو في حكم المشيئة، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، ومآله إلى الجنَّة والله أعلم »[(٢)].

والمذنب من أهل التوحيد إن شاء الله تعذيبه « (فإنه لا يُلقى فيها إلقاء الكافر، ولا يَبقى فيها بقاء الكافر، ولا يَشقى فيها شقاء الكافر)[(٣)]، **ومعنى ذلك:** أن الكافر يُسحب على وجهه إلى النار، ويُلقى فيها منكوساً، في السلاسل والأغلال والأنكال الثقال. والمؤمن المذنب إذا ابتلي بالنار؛ فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرِجل؛ من غير إلقاء وتنكيس»[(٤)].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **يُدرس الإسلام كما يُدْرَسُ وشيُ الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صدقة ولا نُسك ويسري على**

---

(١) وهما قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [سورة النساء، الآية:٣١]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [سورة النجم، من الآية: ٣٢].

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (١/ ١٧٥).

(٣) هذا من كلام سهل بن محمد النيسابوري رحمه الله، كما نقله عنه تلميذه الإمام الصابوني في «عقيدته» (ص/ ٢٧٦).

(٤) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابوني (ص/ ٢٧٦-٢٧٧).

كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحنُ نقولها » قال: صلة بن زفر لحذيفة: «فما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نُسك فأعرض عنه حذيفة فرددها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه في الثالثة قال: **يا صِلَة تنجيهم من النار**»[1].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: من قال: « **(لا إله إلا الله) نفعته يوماً من دهره، أصابه قبل ذلك ما أصابه** »[2].

وقد وصف الله التوحيد بأنَّه نجاة للعِباد، فقال على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾[3].

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب أشراط الساعة، برقم: (٤٠٤٩)، قال العلاَّمة الألباني ﵀: «حديثٌ صحيح» انظر: «الصحيحة» برقم: (٨٧).

(٢) رواه البزار في «مسنده» برقم: (٨٢٩٢)، والطبراني في الصغير برقم: (٣٩٣)، وقال العلاَّمة الألباني ﵀: «صحيح» انظر: «صحيح الجامع الصغير» برقم: (٦٤٣٤).

(٣) سورة غافر، الآية: ٤١-٤٢.

١٨- بالتوحيد تُكَفَّر الذنوب.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: « **يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة** »[(١)].

وجاء في حديث البطاقة المشهور وفيه: قال النبي ﷺ: « **يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة، على رؤوس الخلائق فيُنشر له تسعةٌ وتسعون سجلاً، كل سجل مدَّ البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى له: هل تُنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا ربِّ. ثم يقول: ألك عُذر، ألك حسنة؟ فيَهابُ الرجلُ فيقول: لا ياربِّ. فيقول ﷻ: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظُلم عليك اليوم، فتخرجُ له بطاقةٌ فيها: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبدُه ورسُوله، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلاَّت! فيقول ﷻ: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلاَّت في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلاَّت وثقلت البطاقة** »[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، برقم: (٣٥٤٠)، قال الترمذي: «حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في «الصحيحة» برقم: (١٢٧، ١٢٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٥٧٠)، برقم:(٦٩٩٤)، و الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، برقم: (٢٦٣٩)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، برقم:(٤٣٠٠)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (٨٠٩٥).

قال العلاَّمة السِّعْدي رحمه الله: « إن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمله كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض وعمارها من جميع خلق الله؛ وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ، لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد »(١).

وجاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوب إليه، غفرَ له وإن كان قد فرَّ من الزحف** »(٢).

وجاء عنه رضي الله عنه أنه قال: « **أن رجلاً لم يعمل من الخير شيئا قط إلا**

---

(١) «القول السديد في مقاصد التوحيد» (ص٢٤_٢٥) باختصار يسير.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم: (١٥١٧)، و الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء الضيف، برقم: (٣٥٧٧) قال: «حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وقال العراقي في «المغني»: «ورجاله موثوقون» (١/ ٢٦٩)، برقم (١٠٣١)، والحاكم، كتاب الدعاء، باب فضل الاستغفار، برقم: (١٩٢٧)، وقال: «صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وقال المنذري في «الترغيب»: «إسناده جيدٌ متصل» (٢/ ٢٧٢) برقم: (١٦٢٢).

التوحيد! فلما حضرته الوفاة قال لأهله: إذا أنا مت فخذوني وأحرقوني حتى تدعوني حممة، ثم اطحنوني، ثم اذروني في البحر في يوم راح[1]، قال ففعلوا به ذلك، قال: فإذا هو في قبضة الله قال فقال الله ﷻ: له ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك، قال: فغفر الله له »[2].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله عن توبة آدم عليه السلام: « لَمَّا لبس دِرع التوحيد على بدن الشُّكر؛ وقعَ سهمُ العدو منه في غير مقتل، فجرحهُ، فوضع عليه الجبار الانكسار، فعاد كما كان، فقام الجريح كأن لم يكن به قَلَبَةٌ[3] »[4].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «لما سَلِمَ لآدم أصلُ العبودية لم يقدح فيه الذنب»[5].

---

(١) يومٌ راح: «شديدُ الريح». «لسان العرب» (٥/ ٣٥٦).

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، (٦/ ٣٢٦)، برقم: (٣٧٨٥)، وهو في حكم المرفوع، انظر «الصحيحة» برقم: (٣٠٤٨). والحديث يشهد له حديث أبي هريرة عند البخاري، كتاب المناقب، باب (٥٤)، برقم: (٣٤٨١)، ومسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، برقم: (٢٧٥٦).

(٣) أي: «ألمٌ وعِلَّة». «لسان العرب» (١١/ ٢٧٠).

(٤) «الفوائد» (ص/ ٥٢).

(٥) «المصدر السابق» (ص/ ٩٣).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « السبب الثالث من أسباب المغفرة: التوحيد، وهو السبب الأعظم، فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به، فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة؛ فمن تحقق بكلمة التوحيد قَلبُه، أخرجت منه كل ما سوى الله محبةً وتعظيماً وإجلالاً ومهابةً، وخشية، ورجاءً وتوكلاً، وحينئذٍ تُحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسناتٍ، إلى أن قال: فإن هذا التوحيد هو الإكْسِيرُ[١] الأعظم، فلو وضع ذرَّة منها على جبالِ الذنوب والخطايا، لقلبها حسنات »[٢].

ولا شك أن الاستغفار إذا اقترن بتوحيد الله عز وجل تُكفر به الذنوب وتضمحل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ولهذا قرن سبحانه وتعالى بين التوحيد والاستغفار في غير آية، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[٣] »[٤].

ومما يدل على أن الاستغفار أفضل ما قرن به التوحيد ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا**

---

(١) الإكْسِير: «مادة مركبة، كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص ذهب». المعجم الوسيط (١/ ٢٢).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤١٦-٤١٧) باختصار.

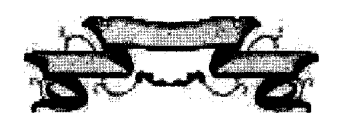
(٣) سورة محمد الآية: ١٩.

(٤) «التدمرية» (ص٢٢٦)

عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» الحديث[١].

قال العلاَّمة السفاريني رحمه الله مبيناً سبب سيادة هذا الدعاء على غيره من أدعية الاستغفار أنه: « اشتمل على التوحيد الذي هو المقصود من خلق العالم، توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية »[٢].

وهو مشتملٌ على توحيد الأسماء والصفات أيضاً كما في اسم « الله »، و اسم « الربّ ».



(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، برقم: (٦٣٠٦).

(٢) «نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار» (ص/ ١٩٩).

١٩- كلمة التوحيد كفارةٌ للحلف بغير الله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من حَلَف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق** »[١].

نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح عن الخطابي رحمه الله قوله: «اليمين إنما تكون بالمعبود المعظم، فإذا حلف باللات ونحوها فقد ضاهى الكفار، فأُمر أن يَتدارك بكلمة التوحيد »[٢].

ونظيرُ هذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « **الطِيَرةُ شرك، وما منا إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل** »[٣].

وجاء من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: « **من ردته الطيرة من حاجةٍ فقد أشرك** » قالوا: يا رسول الله! ما كفارة ذلك؟ قال:«**أن**

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النجم، برقم: (٤٨٦٠)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، برقم: (٤٢٦٠).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٤٧٩).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب ما يقول الرجل إذا رأى غيماً، برقم: (٩٠٩)، وأبو داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم: (٣٩١٠)، و الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة، برقم: (١٦١٤)، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيح» ثم قال: «قال سليمان: هذا عندي من كلام ابن مسعود»: ـ أي ـ «وما منا».

يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند هذا الحديث: « كفارةُ الشرك التوحيد، والحسنات يذهبن السيئات »[(٢)].

وقال العلاَّمة الملا علي القارئ رحمه الله: عن قوله ﷺ: « **(وما منا إلا، ولكنَّ الله يذهبه بالتوكل)** أي: التطير شيء يجدونه في صدورهم، يعني هذا وهمٌ ينشأ من نفوسهم ليس له تأثير في اجتلاب نفع أو دفع ضر وإنما هو شيء يُسَوِّله الشيطان ويزينه حتى يعملوا بقضيته ليجرهم بذلك إلى اعتقاد مؤثرٍ غير الله تعالى، وهو كفر صراح بإجماع العلماء فلا يصدنهم أي: لا يمنعهم التطير من مقاصدهم لأنه لا يضرهم ولا ينفعهم ما يتوهمونه، وقال الطيبي رحمه الله: « أي لا يمنعهم عما يتوجهون من المقاصد أو من سواء السبيل ما يجدون في صدورهم من الوهم، فالنهي وارد على ما يتوهمونه ظاهراً، وهم منهيون في الحقيقة عن مزاولة ما يوقعهم من الوهم في الصد »[(٣)].

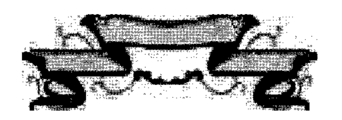
وقال العلاَّمة سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله: « فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله قطع هاجس الطيرة

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١١/ ٦٢٣)، (٧٠٤٥)، وفيه ابن لهيعة وقد اختلط؛ وقد سمع منه عبد الله بن وهب، انظر: «الصحيحة» برقم: (١٠٦٥).
(٢) «المستدرك على مجموع الفتاوى» (١/ ١٣٣).
(٣) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ٧١).

من قبل استقرارها وبادر خواطرها من قبل استكمالها»[(١)].

فمُحصَّل ما تقدم أنَّ من صرفته الطيرة عن العمل يكون قد ارتكب شركاً؛ لكونه قد اعتقد أن هناك من ينفع ويضر غير الله تعالى، أما من وقع في نفسه شيء منه فلم ينصرف فإنه لم يقع في الشرك، ولكن يُخشى عليه فليقل هذا الدعاء المأثور، ليزول ما في النفس ببركة توحيد الله تعالى.



(١) «تيسير العزيز الحميد» (٢/ ٧٥٨).

٢٠- كلمة التوحيد هي أحسن الحسنات، كما أن الشرك هو أعظم السيئات.

قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(١)].

ساق الإمام الطبري رحمه الله بسنده عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قالا: «من جاء بالحسنة هي: لا إله إلا الله، ومن جاء بالسيئة: وهي الشرك»[(٢)].

وجاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله علمني عملاً يقربني إلى الجنَّة ويباعدني من النار. فقال رسول الله ﷺ: « **إذا عملت سيئةً فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها** ». **قلت: يا رسول الله، أفمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: «نعم، أحسن الحسنات »**[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[(٤)].

---

(١) سورة النمل الآية: ٨٩-٩٠.

(٢) «جامع البيان» (٢٠/ ٢٢-٢٣)، وجاء أيضاً عن عكرمة ومجاهد والحسن، ورواه الطبراني في «الدعاء» (٣/ ١٤١٤) أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٣٥/ ٣٦٧)، برقم: (٢١٤٨٧)، و«حسَّنه» العلاَّمة الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، برقم: (٣١٦٢).

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

وقد فُسرت الحسنة (بالتوحيد) والسيئة (بالشرك)، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما[(١)].

وفي مقابل ذلك: الشرك فهو أعظم الخطايا والكبائر، فقد صحَّ عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال لما سأله ابن مسعود رضي الله عنه عن أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: « **أن تجعل لله ندا وهو خلقك** »[(٢)].

وجاء من حديث أبي بكرة نُفيع بن الحارث رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** »، **ثلاثاً قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين »**. وجلس وكان متكئاً **«ألا وقول الزور»**. قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[(٣)].

ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **اجتنبوا السبع الموبقات**[(٤)] ». قالوا يا رسول الله! وما هنَّ؟ قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات»**[(٥)].

---

(١) «جامع البيان» (٢٤/ ١١٩)، «زاد المسير »(٧/ ٢٥٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، برقم: (٤٤٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب، برقم: (١٤١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، برقم: (٢٦٥٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، برقم: (٨٧).

(٤) الموبقات: «أي: الذنوب المهلكات». «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٤٦).

(٥) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾، برقم:(٢٧٦٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم: (١٤٥).

٢١- كلمة التوحيد ترجح بالسماوات والأراضين.

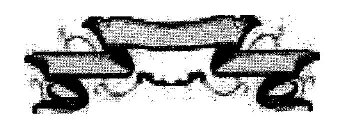
جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة، قال لابنه: إني قاصٌّ عليك الوصية، آمرك باثنتينِ، وأنهاك عن اثنتين؛ آمرك بـ (لا إله إلا الله) ، فإن السماوات السبع والأراضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة؛ رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأراضين السبع كن حلقةً مبهمةً؛ إلا قصمتهن لا إله إلا الله. وسبحان الله وبحمده؛ فإنها صلاة كل شيءٍ، وبها يُرزق الخلقُ، وأنهاك عن الشركِ والكبر...** » الحديث[(١)].

وكيف لا ترجح بالسماوات والأراضين و«**لا إله إلا الله** هي: الكلمة التي وَرَّثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة، وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي المنشور الذي لا تدخل الجنَّة إلا به، والحبل الذي لا يصل

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١١/ ١٥٠)، برقم: (٦٥٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد»، برقم: (٥٤٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»، برقم: (٨٣٢)، والحاكم في «مستدركه» (١/ ٤٩)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في «الصحيحة» برقم:(١٣٤).

إلى الله من لم يتعلق بسببه، وهى كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهى العمود الحامل للفرض والسنة، و(**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**)[١] »[٢].



---

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب النعاس في الصلاة، برقم: (١٣١٦)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في «سنن أبي داود» (ص/ ٤٧٨).

(٢) «الجواب الكافي» (ص/ ٢٠٤-٢٠٥).

٢٢- يحصل بالتوحيد الأمن التام في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: « أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً، هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة »[(٢)].

ولا شك أن الأمن والهداية في غاية من الأهمية للمرء والمجتمع، فمن اجتمعت له هاتين الخصلتين فقد فاز فوزاً عظيماً.

وقد فسَّر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿بِظُلْمٍ﴾ فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لما نزلت الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يَلبس إيمانه بظلم؟ قال رسول الله ﷺ: «إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[(٣)]»[(٤)].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٣٦).

(٣) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٠٨).

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة لقمان، برقم: (٤٧٧٦).

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « أجابهم النبي ﷺ أن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك، وهذا والله هو الجواب الذي يشفي العليل ويروي الغليل، فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها، والأمن والهدى المطلق هو الأمن في الدنيا والآخرة والهدى إلى صراط المستقيم »[١].

ومما يدلُ أيضاً أن التوحيد أمانٌ من الخوف بل هو أعظم وسيلة للاستخلاف في الأرض قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾[٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ أي: فليوحدوه بالعبادة، كما جعل لهم حرماً آمنا وبيتاً محرماً، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) سورة قريش، الآية: ١-٤.

ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) أي: فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً.

ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع اللهُ له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه جميعاً،كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (٢)» (٣).

ومما يحسنُ ذكره هنا وفي هذا المكان ما حكاه الشيخ العلاَّمة محمد تقي الدين الهلالي الحسيني المغربي رحمه الله في مقالةٍ بعنوان « **من نتائج إصلاح الملك عبدالعزيز آل سعود المعظم** » سطَّر فيها ما شاهدة من بركة تحقيق التوحيد في هذه الدولة المباركة على يد الملك المصلح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى، فقال:

« كانت الجزيرة العربية قبل نهضة الملك عبد العزيز متأخرة من جميع النواحي إلا القليل، أجل! كانت الجزيرة العربية نهباً مقسماً يسود فيها نظام الإقطاع، والجهل، والفقر، والبؤس، والأمراض مخيمة في ربوعها، والغارات

---

(١) سورة النمل، الآية: ٩١.

(٢) سورة النحل، الآية: ١١٢-١١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٤٩٢).

تفتك بأهل البلاد وبمن يزور البلاد المقدسة الإسلامية من الحجاج وغيرهم فما مضى إلا زمن يسير على نهضة الملك السعودي حتى أخذ الإصلاح ينمو والشر والفساد يتضاءلان وأخذت الجزيرة العربية، تسير في مدارج الرقي إلى أن أذن الله بأن تكون الأمانة الكبرى في الأرض تحت رعاية جلالته ألا وهي الحرمين الشريفين، مهبط الوحي، ومنبع معين الإسلام، ومطلع نور العدل والإحسان، **فحينئذٍ أخذ بدر الإصلاح يسير إلى الكمال، فأمنت البلاد، أمناً لم يعرف الناس مثله من عهد عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، وصار الأمر في ذلك خارقاً للعادة يعد من الكرامات الحقيقية **التي هي ثمرة العمل بالسنة المحمدية مع تحقيق التوحيد**...، هذا الأمن لم يُوجد قط في أية دولة أوربية كبيرة أو صغيرة حتى أننا إذا حدثنا الناس به في أمهات العواصم الأوربية لا يصدقون ولهم العذر في ذلك؛ لأنهم يرون في بلدانهم الآلاف المؤلفة من الشرط والحرس من أرقى ما أنجبته المدنية الحديثة لا يقدرون أن يقروا من الأمن والدعة مثل ما من الله على بلدان العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز.

وبالجملة **فتلك** من آيات الله في هذا العصر وما يعقلها إلا العالمون وهي معجزة من معجزات الدين المحمدي والعمل به، إلا أن هذه الآية ظاهرة لا يحتاج فيها إلى الإيمان بالغيب فما على من يريد أن يراها عياناً إلا زيارة البلاد العربية السعودية السعيدة فإنه حينئذٍ يشاهد بعينه أكثر مما سمعت أذناه.

وأما من الناحية السياسية التي هي أهم النواحي في هذا الزمان فمنذ قرون عديدة لم تتأسس في تلك البلاد دولة مستقلة لها صيتها وخطرها تقدرها جميع الأمم حق تقديرها ويعترفون باستقلالها ومقامها حتى عهد الملك عبد العزيز. وليس عجباً أن يكون لدولته صيت ومكانة في بلدان الشرق، وفي البلدان الأوربية المتصلة بالشرق ولكن الآية العظمى أنك لا تجد أحدًا في أوربا سواء كان مثقفاً ثقافة خاصة، أو من عامة الناس، وسواء في ذلك أهل المدن وأهل القرى إلا وقد قرأ شيئاً وعرف من أخبار ابن سعود وأعماله الجليلة مقداراً. وهذا دليل واضح على أن جلالته قد جدد مجد العرب ونوه باسم البلاد العربية ـ بعد ما صار خاملاً ـ ، وحفظها من نجاسة الاستعمار الملعون بعد ما كانت قاب قوسين أو أدنى من الوقوع في حبائل أعداء الإنسانية.

وأما من الوجهة الدينية فشتان ما بين تلك البلاد اليوم وبينها بالأمس فبيت الله محجوج يؤمه عشرات الألوف من مشارق الأرض ومغاربها حتى في هذه الأيام التي تسعَّرت فيها نيران الحرب وصارت أكبر دولة على وجه الأرض لا تأمن على نفسها ولا على رزقها في عقر دارها.

فإن بيت الله مقصود ومسجد نبيه مزور وشعائره قائمة وقوافل الحجاج من أقصى البلاد غادية ورائحة لا تخاف إلا الله، ومساجد الله عامره بالعلم والعبادة.

وأما من الوجهة الثقافية فنظرة عُجلى في تاريخ البلاد العربية السعودية مع النظر إلى ما هي عليه اليوم تكفى لمعرفة الفرق بين يومها وأمسها فعدد المتعلمين

اليوم في تلك البلاد يزيد على ما كان عليه قبل جلوس جلالة الملك عبد العزيز على عرش المملكة العربية السعودية بأضعاف مضاعفة بل لم يكن قبل تولي جلالته هناك نظام علمي أصلاً.

وأما من الوجهة الاقتصادية فقد تقدمت البلاد العربية السعودية بفضل الله ثم بسداد سياسة الملك عبد العزيز الاقتصادية أشواطاً بعيدة فانتعشت التجارة والزراعة وأخذت البلاد تستغل ما أودع الله فيها من الكنوز المخبأة، وبالجملة فإن نهضة الملك عبد العزيز وإصلاحه من أعظم نعم الله على البلدان العربية السعودية خاصة وعلى المسلمين عامة، فنسأل الله أن يبارك في عمر جلالته ويزيده توفيقاً[(١)] ويوفق ولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير سعود ونائبه في الحجاز صاحب السمو الملكي الأمير فيصل للإقتداء به[(٢)]، ليطَّرد بذلك تقدم البلاد المقدسة التي هي قدوة جميع البلدان الإسلامية[(٣)] آمين»اهـ[(٤)].

---

(١) هذا مما يدلُّ على أن العلاَّمة الهلالي رحمه الله كتبها في حياة الملك عبد العزيز رحمه الله، ولم أجد تاريخاً لهذه المقالة.

(٢) رحم الله الإمام المصلح عبد العزيز آل سعود ومن مات من أبنائه وذريته، وحفظ الله من بقي منهم على التوحيد والسنّة، وجعلهم خير خلَفٍ لخير سلَف.

(٣) لا شك ولا ريب أن «**المملكة العربية السعودية**» صارت، ولا زالت، وستبقى، بمشيئة الله تعالى وقدرته مثالاً يحتذى به لجميع البلدان الإسلامية في شتى المجالات ولا سيما «**الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك**»، ـ فجزآهم الله عنا خير الجزاء، وأعظم لهم المثوبة وثبَّتهم على الحق ـ.

(٤) مختصراً من مقال بعنوان: «**من نتائج إصلاح جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم** رحمه الله»، مطبوعة بالآلة الكاتبة، أعطيتُ إياها بواسطة ابن ربيبته الأخ الفاضل: عبدالغني بوزكري ـ وفقه الله لكل خير ـ عند سفري للمغرب عام ١٤٢٥هـ.

٢٣- بالتوحيد تُفَرَّج الهموم وتنفس الكربات.

قال الله تعالى: عن نبيه يونس عليه السلام: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **دعوة ذِي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيء قط إلا استجاب الله له** »[2].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله عن هذه الدعوة: « فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للربِّ تعالى واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهمِّ والغم، وأبلغ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج، فإن التوحيد والتَّنزيه يتضمنان إثبات كل كمال لله، وسَلبَ كلِّ نقصٍ وعيب وتمثيل عنه، والاعتراف بالظلم يتضمن إيمان العبد بالشَّرع والثواب والعقاب، ويوجب انكسارَه ورجوعه إلى الله، واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديته وافتقاره إلى ربه، فهاهنا أربعة أمور قد وقع التوسل بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف »[3].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٨١، برقم: (٣٥٠٥)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في تعليقه على «جامع الترمذي» (ص/ ٧٩٥).

(٣) «زاد المعاد» (٢/ ٢٠٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: « **أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا اللهُ ربُّ السموات وربُّ الأرض ورب العرش الكريم** »(١).

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: « **ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب ـ أو في الكرب ـ : الله الله ربي، لا أشرك به شيئاً** »(٢).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « **دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلَّهُ، لا إله إلا أنت** »(٣).

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله مؤكداً تنفيس الله عن الموحدين في شدائدهم، قال: « هذه سنة الله في عباده، فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب(٤) بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، برقم: (٦٣٤٦)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب دعاء الكرب، برقم: (٦٩٢١).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم: (١٥٢٥)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني، في «تعليقه على سنن أبي داود» (ص/ ٢٣٤).

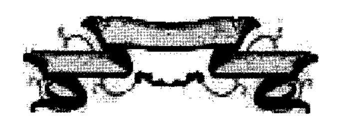
(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح؟، برقم: (٥٠٩٠)، و«حسَّنه» العلاَّمة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٨٨).

(٤) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، برقم: (٦٣٤٦)، ومسلم، كتاب الصيام، باب دعاء الكرب، برقم: (٦٩٢١).

مكروب إلا فرَّجَ الله كربه بالتوحيد، فلا يُلْقي في الكُرَبِ العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفزَعُ الخليقةِ وملجؤها، وحصنها وغياثها»(١).

وقال أيضاً ﵀:« فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وحقيقته إفراد الرب ـ سبحانه ـ بالمحبة والإجلال والتعظيم، والذل والخضوع »(٢).

وقال تعالى مبيناً لعبيده أنه هو وحده الذي يكشف الكربات لا شريك له في ذلك ولا ربَّ سواه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(٣).



(١) «الفوائد» لابن القيم (ص/ ٤٥)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ رسالة لطيفة شرح فيها قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وقد طُبعت مستقلة.

(٢) «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (٢/ ٨٤٤).

(٣) سورة النمل الآية: ٦٢.

٢٤- صاحب التوحيد أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: **«لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه»**(١).

وفي حديثٍ له أيضاً رضي الله عنه عن رسولنا الكريم ﷺ: أنه قال: **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة**(٢)**، إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»**(٣).

فلما كان أسعد الناس في الدنيا بإخلاص كلمة التوحيد التي هي أساس دعوة الرسل ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ كان من أهل السعادة يوم القيامة بشفاعة النبي ﷺ والجزاء من جنس العمل.

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، برقم: (٩٩).

(٢) نائلة: «من نالَ يَنَال نَيْلا إذا أصاب فهو نائل». «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٤١).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، برقم: (١٩٩).

٢٥- كلمة التوحيد هي «الكلمة الطيِّبة» وسببٌ للحياة الطيِّبة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[(١)].

والكلمة الطيبة: هي كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: « **شهادة أن لا إله إلا الله** »، وقال أيضاً والكلمة الخبيثة: « **الشرك** »[(٢)].

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾[(٣)].

قال الفُضيل بن عياض رحمه الله **عن معنى العمل الصالح:** « أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً، والخالص إذا كان لله، والصَواب إذا كان على السُّنة»[(٤)].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤-٢٧.

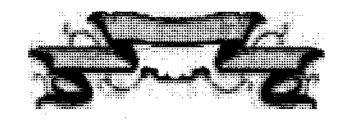
(٢) «زاد المسير» (٤/ ٣٥٨)، «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٩١).

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٤) رواه أبو نُعيم في «الحِلية» (٨/ ٩٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وجماع الدين أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، ولا نعبده بالبدع »(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: « (**الإخلاص**): عدم انقسام المطلوب، و(**الصدق**): عدم انقسام الطلب، فحقيقة الإخلاص: توحيد المطلوب، وحقيقة الصدق: توحيد الطلب والإرادة، ولا يثمران إلا بالاستسلام المحض (**للمتابعة**)، فإن عُدم الإخلاص والمتابعة: انعكس سيره إلى الخلف، وإن لم يبذل جهده ويؤحِّد طلبه: سار سير المقيد. وإن اجتمعت له الثلاثة(٢): فذلك الذي لا يجارى في مضمار سيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»(٣).



---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٨٥) وانظر أيضاً (٢٧/ ١٤٨).

(٢) أي: «الإخلاص، والصدق، والمتابعة».

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٤)، مختصراً، وانظر: «إعلام الموقعين» (٢/ ١٦٩).

٢٦- بالتوحيد تَحْرُمُ الدماء والأعراض ويدخلُ به المرءُ الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١).

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: حتى لا يكون الشرك بالله، وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: فإن انتهوا عن عبادة غير الله تعالى فإنه لا ينبغي أن يُعتدى إلا على الظالمين وهم: المشركون بالله الصادون عن لا إله إلا الله»(٢).

ويدلّ على ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»**(٣).

وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحُرَقَةِ فصبَّحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما

---

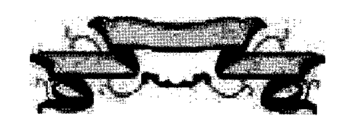
(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

(٢) «جامع البيان» (٢/ ١٩٤-١٩٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، برقم:(٣٩٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، برقم: (٢١).

غشيناهُ قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برُمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: «**يا أسامة! أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟** » قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم(١).

وفي رواية: قال له النبي ﷺ: « **فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟** »(٢).



---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب (٤٦) بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحُرَقَات من جُهينة.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد قوله: لا إله إلا الله، برقم:(٩٧).

٢٧- دعا النبي ﷺ للتوحيد في مكة ثلاثة عشر سنة قبل الهجرة، وفي المدينة إلى أن توفاه الله تعالى.

دعا النبيُّ ﷺ عشيرته وأهله في أول دعوته بمكة بقوله: **«يا بني عبدمناف اشتروا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، يا أمَّ الزبير ابن العوام عَمَّة رسول الله، يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله، لا أملكُ لكما من الله شيئاً، سَلاني من مالي ما شئتما»**[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحَى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، وتبيان ودلائل »[(٢)].

وقد مرَّ أن رسول الله ﷺ جمع الناس في سوق ذي المجاز يقول لهم **« قولوا لا إله إلا الله »**[(٣)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام و الجاهلية، برقم: (٣٥٢٧)، و مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، برقم: (٥٠٣).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٢٧).

(٣) انظر فائدة: «التوحيد هو أول أمرٍ بدأ به رسول الله ﷺ».

قال العلاَّمة حافظ الحكمي رحمه الله: « فصلٌ في معرفة نبينا محمد ﷺ » وذكر تحته أبيات منها قوله:

عشرَ سنينَ أيها الناسُ أعبدوا ربّاً تعالى شأنُهُ ووحِّدُوا»[1]

ومما يدل على حرصه واهتمامه ﷺ على تقرير التوحيد؛ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له على وجهه، فإذ اغتم بها كشفها فقال: ـ وهو كذلك ـ « **لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » « **يحذِّرُ ما صنعوا** ». قالت عائشة رضي الله عنها: « **لو لا ذلك لأُبرِزَ قبرُه، خُشِيَ أن يُتخذ مسجداً** »[2].

وحديث جُنْدُب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: « **إني أبرأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك** »[3].

---

(١) «معارج القبول» (٣/ ١٢٣٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم: (٤٤٤١)، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور، برقم:(١١٨٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور، برقم: (١١٨٨).

٢٨- بالتوحيد يحفظ اللهُ المرءَ من الشيطان.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾[١].

جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصته مع الشيطان ما نصه: « قال - أي الشيطان -: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح » الحديث[٢].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته له، ولم يُخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن، وهم الذين قال فيهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾ »[٣].

فالله هو الحافظ وحده، ومن اعتصم بالله تعالى فقد آوى إلى ركنٍ شديد، ولذلك قال تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٤].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٩-١٠٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز، برقم: (٢٣١١).

(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٢، الإسراء، الآية: ٦٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٦٤

٢٩- عدم التحدث بوسوسة الشيطان في أمر التوحيد من صريح الإيمان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا لنجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: « **أَوَ قَدْ وجدتموه؟** »، قالوا: نعم. قال: « **ذاك صريح الإيمان** »(١).

قال النووي رحمه الله: « ذلك صريح الإيمان ومحض الإيمان معناه: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان؛ فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه، ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده، إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً، وانتفت عنه الريبة والشكوك »(٢).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم:(٢٠٩).
(٢) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٥١٢-٥١٣).

٣٠- التوحيد يَدْفَع وسوسة الشيطان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا، خلقَ اللهُ الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله** »[١].

وفي رواية: « فقولوا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان »[٢].

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله: « وقوله: (**قل آمنت بالله**) أمرٌ بتذكر الإيمان الشرعي، واشتغال القلب به لتمحى تلك الشبهات، وتضمحل تلك التر ّهات، وهذه كلها أدويةٌ للقلوب السَّليمة الصحيحة المستقيمة التي تَعْرِضُ التر ّهات لها، ولا تمكثُ فيها »[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، برقم: (٧٢٩٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، برقم:(١٣٤).

(٢) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، برقم: (٤٧٢٢)، قال العلاَّمة الألباني:«حديثٌ حسن».

(٣) «المُفْهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، للقرطبي (١/ ٣٤٥).

٣١- كل آية في كتاب الله شاهدة بالتوحيد.

قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[(١)].

وقد حكى الإمام ابن القيم رحمه الله: « أن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي »[(٢)].

ولذلك قيل:

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدلُ على أنَّه الواحدُ[(٣)]

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) «مدارج السالكين»، ابن القيم (٤/ ٤٤٢).

(٣) «ديوان أبي العتاهية» (ص/ ١٢٢).

٣٢ - أفضل ذكرٍ ودعاءٍ يُدعى الله به (التوحيد).

جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: « **خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير** »[(١)].

وثبت عن جابر رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « **أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله** »[(٢)].

وهذا الدعاء هو دعاء توحيد وثناء على الله تعالى وهو دعاء العبادة، قال أبو إسحاق الزجاج رحمه الله: « معنى دعاء الله عز وجل على ثلاثة أضرُب، فضربٌ منها: توحيده، والثناء عليه، كقولك: يا الله! لا إله إلا أنت، وكقولك: ربنا لك الحمد، إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا، ثم أتيت بالثناء والتوحيد.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[(٣)] »[(٤)].

وقال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « الدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد »[(٥)].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، برقم: (٣٥٨٥)، و«حسَّنه» العلاَّمة الألباني في «سنن الترمذي» (ص٨١٥)، «الصحيحة» برقم: (١٥٠٣).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، برقم: (٣٣٨٣)، والحاكم (١/ ٥٠٣)، وقال: «هذا حديثٌ صحيحٌ، ولم يخرجاه»، و«حسَّنه» العلاَّمة الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي».

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٤) «معاني القرآن» (١/ ٢٥٥) باختصار يسير.

(٥) «مدارج السالكين» (١/ ٤٢٠).

٣٣- التوسل بالتوحيد أعظم توسلٍ لله تعالى.

التوسل عبادة من أجل العبادات قال تعالى: قال ﷻ: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾[1].

والوسيلة: « **الوَصْلَةُ والقُربى، وجمعها: الوسائل** »[2].

والتقرب إلى الله لا يكون إلا بما شرعه هو ـ سبحانه ـ، قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[3]، ولذلك عُرِّفت العبادة بأنها: « **اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة** »[4].

فالتوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا من أعظم التوسل، فبه يكون الثناء على الله وتمجيده سبحانه، كما جاء عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه، أن الله يقول: «فإذا قال العبد: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ مجَّدني عبدي»[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية:٥٧.

(٢) «لسان العرب»، لابن منظور (١٥/ ٣٠١).

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢١.

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤٩)، و«العبودية»، لابن تيمية (ص/ ١٩).

(٥) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة، برقم: (٣٩٥).

والأدلة على هذا النوع كثيرة جدًا بل لا تكاد تجد دعاءً مأثوراً إلا قد تضمن سؤال الله ﷻ بأسمائه وصفاته وهو بمثابة التمهيد للدعاء، جاء عن الرسول الكريم ﷺ كما في دعاء الكَرْب أنه قال: « **اللهمَّ إني عبدُك، وابن عبدِك، وابن أمتِك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدًا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي** »[(١)].

الشاهد من الحديث قوله ﷺ: « **أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدًا من خلقك** ».

وقد جاء في الحديث الصحيح بيان هذا النوع بوضوح تام، وهو أن الرسول ﷺ « **سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: عَجِلَ هذا، ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه جل وعز والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء** »[(٢)].وهذا يدلُ على استحباب التوسل بأسماء الله وصفاته عند البدء بالدعاء، وطلب ما عند الله، وأنه من أسباب قبول الدعاء بإذن الله تعالى.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» برقم: (٣٧١٢)،وصححه الحاكم في «مستدركه»، برقم:(١٣٦٩)، والعلاَّمة الألباني في «الصحيحة» برقم: (١٩٩).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم: (١٤٨١)، والترمذي، كتاب الدعوات، برقم: (٣٤٧٧) وقال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ صحيح».

٣٤- اتفاق الأنبياء في الدعوة للتوحيد.

فقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **أنا أولى بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاَّتٍ**(١)، **أمهاتهم شتى ودينهم واحد** »(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وأمر الله تعالى الرسل أن تكون ملتهم ودينهم واحدًا، لا يتفرقون »(٣).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « **والإسلام**: هو ملَّة الأنبياء قاطبة، وإنْ تنوعت شرائعهم، واختلفت مناهجهم »(٤).

---

(١) **أولاد العَلاَّت**: «الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد، وأراد أن إيمانهم واحدٌ وشرائعهم مختلفة». «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٢٩١).
* **أولاد الأعيان**: « الأخْوَة لأبٍ واحدٍ وَأمٍّ واحِدة مأخُوذ من عَيْن الشيء وهو النَّفِيس منه» «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٣٣).
* **أولاد الأخياف**: «هم الإخوة لأمٍ واحدة وأباء شتى». «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٣٣).

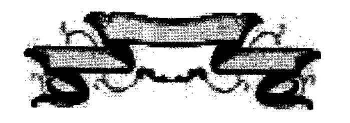
(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا﴾، برقم: (٣٤٤٣)، و رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، برقم: (٦١٣٢).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٢٠).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤٤٧).

ولذا كان الكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، وبيان ذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[(١)]، وقوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[(٢)]، وقوله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[(٣)]، وقوله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[(٤)].

ومن المعلوم أنه لم يكن قبل نوحٍ عليه السلام رسول، فهو أول رسولٍ أرسله الله تعالى، ولكن الله خاطبهم بأن تكذيبهم لنوح عليه السلام هو تكذيب لمن ورائه من الرسل.



---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٤١.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٦٠.

٣٥- التوحيد هو وصية الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لذريتهم.

قال الله تعالى عن إبراهيم ويعقوب ـ عليهما السلام ـ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « يقول تعالى محتجاً على المشركين من العرب أبناء إسماعيل، وعلى الكفار من بني إسرائيل، بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له، وقوله تعالى: ﴿ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ أي: نوحده بالألوهية، ولا نشرك به شيئاً » [٢].

ولقد مرَّت بنا قريباً وصية نوحٍ عليه السلام لابنه في الأمر بالتوحيد ونبذ الشرك أيضاً [٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤٤٧).

(٣) انظر عنوان: «كلمة التوحيد ترجح بالسماوات والأراضين».

٣٦- أهلك الله الأمم السابقة لبعدهم عن التوحيد[١].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « لكن أكثر الرسل افتتحوا دعوتهم بالأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه كما أخبر الله عن نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وقومهم كانوا مقرين بالخالق لكن كانوا مشركين يعبدون غيره، كما كانت العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم »[٣].

وقال أيضاً رحمه الله: عن قوم لوط عليه السلام: « فكان في قوم لوط مع الشرك إتيان الفواحش التي لم يسبقوا إليها »[٤].

وقال رحمه الله: «وأما أهل مدين فذكر عنهم الظلم في الأموال، مع الشرك»[٥].

---

(١) للمزيد انظر الرسالة الجامعية: «**أسباب هلاك الأمم السالفة**»، لسعيد محمد بابا سيلا.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٢.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٣٢)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٣٦٩)، وانظر: «معارج القبول» (٢/ ٥٠١ وما بعدها).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٤٩).

(٥) «النبوات» (١/ ٢١٢).

٣٧- اشتمال أفضل آية في القرآن « آية الكرسي » على أنواع التوحيد.

عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **يا أبا المنذر! أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟** » قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟** » قال: قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، قال: فضرب في صدري، وقال: « **والله! ليهنك العلم أبا المنذر**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي »[(٢)].

وقد جاء الحث على ملازمتها وقراءتها دبر كل صلاة مكتوبة من قول النبي ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة؛ لم يحل بينه وبين دخول الجنَّة إلا الموت**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم: (١٨٨٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٠٠).

(٣) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم: (١٠٠)، وصححه ابن حبان في كتاب الصلاة كما في «الترغيب والترهيب» للمنذري(٢/ ٢٥٨)، وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٦٧٧)، برقم: (١٥٩٥)، «وصحَّحه» العلاَّمة الألباني في «الصحيحة» برقم:(٩٧٢).

لذا قال ابن القيم رحمه الله : « وبلغني عن شيخنا أبي العباس ابن تيمية ـ قدَّس الله روحه ـ أنه قال: ما تركتها عُقيب كُلِّ صلاة »(١).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ ـ فقص الحديث ـ فقال: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزالْ معك من الله حافظٌ، ولا يقرُبُك شيطانٌ حتى تُصبح » الحديث(٢).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله جملة من الأحوال الشيطانية ثم قال: « وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها، مثل آية الكرسي »(٣).

وقال رحمه الله أيضاً: « وإذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا، فإن التوحيد يطرد الشيطان، ولهذا حمل بعضهم في الهواء فقال: (لا إله إلا الله)، فسقط »(٤).

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ٢٩٤).
(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، برقم: (٥٠١٠).
(٣) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص/ ٣٢٥).
(٤) «المصدر السابق» (ص/ ٣٣٩).

٣٨- التوحيد أعظم سبب لمحبة الله ﷻ للعبد.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سريّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**سلوه، لأيِّ شيءٍ يصنع ذلك**»، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحبُ أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[1].

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**حبُّكَ إياها أدخلك الجنَّة**»[2].

والعبدُ يسعى دائماً لكسب محبة سيده ـ سبحانه وتعالى ـ؛ لأن الشأن كل الشأن أن تُحب لا أن تُحِب، وأعظم ما يُرضى الله تعالى عن عبده توحيده؛ كما وعدَ سبحانه.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، برقم: (٧٣٧٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، برقم: (١٨٩٠).

(٢) روه البخاري، كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في ركعة، برقم: (٧٧٤).

٣٩- لا تُقبل الأعمال إلا بتوحيد الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وقد فسر العلماء هذه الآية بقولهم: « إسلام الوجه هو: توحيد الله تعالى والإخلاص له، والإحسان هو إتباع النبي ﷺ »[2].

وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١١٢.

(٢) «معالم التنزيل» (١/ ٩٣)، «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٨٥).

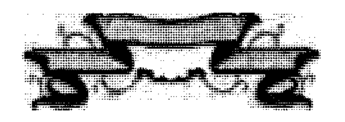
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٤-٦٦.

قال العلاَّمة الشوكاني رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ «هذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل؛ لأن الله سبحانه قد عصمهم عن الشرك، ووجه إيراده على هذا الوجه التحذير والإنذار للعباد من الشرك؛ لأنه إذا كان موجباً لإحباط عمل الأنبياء على الفرض والتقدير، فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم بطريق الأولى»[1].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ يا رسول الله! **ابن جُدْعان** كان في الجاهليةِ يصلُ الرَّحِم، ويُطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال ﷺ: «**لا ينفعه، إنه لم يقُل يوماً: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدِّين**»[2].



---

(١) «فتح القدير» (٤/ ٦٢٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن مات على الكفر لا ينفعه عمل، برقم (٥١٨).

٤٠- الموحد شرح الله صدره وهداه سبيله، ونقيضه المشرك.

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾، يقول: يُوسِّع قلبه للتوحيد والإيمان به»[2].

وكيف **لا يكون منشرح الصدر** «وليس شيءٌ من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة، مثل **التوحيد**؛ فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات **التوحيد وفضائله**»[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٣٦).

(٣) «القول السديد في مقاصد التوحيد» (ص/ ٢٣).

٤١ - التوحيد وصية النبي ﷺ

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن معاذَ بن جبل رضي الله عنه أراد سفراً، فقال: يا نبي الله، أوصني، قال: « **اعبد الله لا تشرك به شيئاً** »، قال: يا نبي الله زدني، قال: « **إذا أسأت، فأحسن** »، قال: يا رسول الله زدني. قال: « **استقم، وليحسن خلقك** »[(١)].

وجاء في حديث سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال:كان رسول الله ﷺ إذا أمَّرَ أميرا على جيشٍ أو سريةٍ أوصاه في خاصتهِ بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: « **اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ ، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم**» الحديث[(٢)].

وقد بوَّب الحافظ ابن مندة رحمه الله على هذا الحديث، بقوله: « بابُ ذكرِ أمرِ النبي ﷺ السرايا أن يدعوا إلى توحيد الله ويُقاتلوا عليه »[(٣)].

---

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» (١/ ٥٤)، قال الذهبي: «صحيحُ الإسناد»، و ابن حبان في «صحيحه»، كتاب البر والصلة، باب في ذكر الإخبار بأن على المرء تعقيب الإساءة بالإحسان، برقم: (٥٢٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، برقم: (١٧٣١).

(٣) «كتاب الإيمان» (١/ ٢٦١).

ومن ذلك عن أبي بَشير الأنصاري رضي الله عنه: أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً: «أن لا يَبْقَيَنَّ في رقبة بعير قلادة من وترٍ، أو قلادة إلا قُطعت»(١).

ومنه ما جاء في وصية النبي ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال أوصاني خليلي ﷺ: **«أن لا تُشرِك بالله شيئاً وإنْ قُطِّعْتَ وحُرِّقْتَ، ولا تترك صلاة مكتوبة معتمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر»**(٢).

وقوله ﷺ لرويفع رضي الله عنه: « **يارويفع، لعل الحياة ستطُول بك، فأخبِر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلَّد وتراً، أو استنجى برجيعِ دابةٍ أو عظم، فإن محمداً ﷺ منه بريٌ**»(٣).

وجاء من حديث أبي الهيَّاج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **«ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»**(٤).

---

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد، باب ما قيل في الجرس ونحوه، برقم: (٣٠٠٥)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب كراهة القلادة في رقبة البعير برقم: (٥٥٤٩) وجاء عنده: «قال مالك : أُرَى ذلك من العين».

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء، برقم: (٤٠٣٤)، و«حسنَّه» العلاَّمة الألباني في تحقيقة على السنن (ص/ ٦٦٧) .

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٢٨/ ٢٠٥)، برقم: (١٦٩٩٥)، وأبو داود، كتاب:الطهارة، باب: ما يُنهى عنه أن يُستنجى به، برقم: (٣٦)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في تحقيقه للسنن (ص/ ١١) .

(٤) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، برقم: (٩٦٩).

٤٢- كلمة التوحيد هي الكلمة الباقية في عقب إبراهيم ﵇.

كما في قوله تعالى عن إبراهيم ﵇: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[(١)].

قال البغوي ﵀: «﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ هي: كلمة التوحيد وهي: **لا إله إلا الله**، كلمة باقية في عقبة: في ذريته»[(٢)].

وقال ابن الجوزي ﵀: «﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: (كلمة التوحيد)، وهي: لا إله إلا الله، ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾، أي: فيمن يأتي بعده من ولده، فلا يزال فيهم موحِد، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى التوحيد كلهم إذا سمعوا أن أباهم تبرأ من الأصنام ووحد الله ـ عزوجل ـ»[(٣)].

قال الحافظ ابن كثير﵀: «قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ يعني: لا إله إلا الله، لا يزال في ذريته من يقولها. وروى نحوه عن ابن عباس ﵄»[(٤)].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٨.

(٢) «معالم التنزيل» (٤/ ٩٦)، «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٢٢٥).

(٣) «زاد المسير» (٧/ ٣١٠).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٢٢٥).

٤٣- خوف الأنبياء والصالحين من الوقوع في الشرك، دليل على أهمية التوحيد، ووجوب خوف غيرهم.

قال الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

قال إبراهيم التَّيْمِيُّ رحمه الله: « ومن يأمنُ من البلاءِ بعدَ إبراهيم؟! »[٢].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد ذكر هذه الآية:« ينبغي لكل داعٍ أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته »[٣].

قال العلاَّمة محمد تقي الدين الهلالي المغربي الحسيني[٤] رحمه الله: « فلله درُّ هذا الإمام ما أعظم تحقيقه وأوسع اطلاعه...، **ولو قلت لرجلٍ** اليوم من عامة المسلمين، وأكثر خاصتهم من الذين يزعمون أنهم علماء، **أسأل الله أن يحفظك ووالديك وذريتك من عبادة الأصنام، لغضب غضباً شديداً وظن أنك تسبه!**،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥، ٣٦.

(٢) «جامع البيان» (١٣/ ١٢٢).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥١٣).

(٤) هو العالم الكبير المصلح، حامل راية «الدعوة للتوحيد» في المغرب، أبو شكيب محمد تقي الدين الهلالي الحسيني المغربي من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما، «وقد صنَّف في شتى الفنون»، ولد سنة ١٣١١هـ وتوفي سنة ١٤٠٧هـ. انظر ترجمته في: «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٩٣-٢٢٧)، محمد المجذوب.

فإذا حلم ولم يشتمك ولم يضربك يقول: هل أنت شاك في إسلامي وإسلام والدي وذريتي؟ ونحن نقرأ القرآن ونصلي ونحج ونؤدي الزكاة ونصوم رمضان ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ فاتقِ الله ولا تكفر المسلمين، واترك عقيدة الوهابية!، فيقال له: **هل كان إبراهيم وهابياً حين دعا بهذا الدعاء؟!** وهل كان إبراهيم ويعقوب وهابيين إذ حكى الله عنهما وصيتهما في الكتاب؟! **فيا أيها الموحد المتبع المهتدي اصبر إن وعد الله حق**»[(١)].

وقال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ في خوفهما عدم قبول عملهما: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[(٢)].

وقد قرأ وُهيب بن الورد هذه الآية فبكى وقال: « يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن[(٣)] وأنت مشفق أن لا يتقبل الله منك »[(٤)].

وجاء عن معقل بن يسار رضي الله عنه أنه قال: انطلقت مع أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، فقال: « **يا أبا بكر! للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل** » فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهاً آخر؟ فقال النبي ﷺ:

---

(١) «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (١/ ٣٤٠-٣٤١).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٣) أيضاً هو: «بأمرٍ من الرحمن!!».

(٤) « تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤٢٧).

«والذي نفسي بيده، للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدُلُّكَ على شيء إذا قُلْتَهُ ذهب عنك قليلُهُ وكثيرُهُ؟ » قال: « قل: اللهم إني أعوذُ بك أن أُشركَ بكَ وأنا أعلمُ، وأستغفركَ لما لا أعلمُ »(١).

وجاء أن النبي ﷺ:كان أكثر دعائه: « يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك »(٢).

وجاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحنُ نتذاكر المسيح الدجال، فقال: « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ » قال: قُلنا: بلى، فقال: « الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يُصلي فيزين صلاته لما يَرى من نظر رَجلٍ »(٣).

وقد خاف النبيُّ ﷺ من نسبة الشرك إلى نفسه ولو على سبيل الحكاية ففي الحديث المشهور أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه النبي ﷺ فقال: « يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب: أترغب عن ملَّة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، (ص٢٤٧)، برقم: (٧١٦)، قال الشيخ العلاَّمة الألباني «صحيح»، انظر: «صحيح الجامع الصغير» برقم: (٣٧٣١).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب منه، برقم: (٣٥٢٢)، قال الترمذي: «حديثٌ حسن»، وصححه ابن حبان في «صحيحه» عن النَّوَّاس بن سمعان برقم: (٩٤٣)، (٣/ ٢٢٢).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (١٧/ ٣٥٤)، برقم: (١١٢٥٢)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، برقم: (٤٢٠٤) و «حسَّنة» العلاَّمة الألباني رحمه الله.

عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب »[١].

وقد ثبت مثل ذلك عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمعه يقول: وأبي، فقال رسول الله ﷺ « **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فإذا حلفَ أحدُكُم، فليحلف بالله أو ليصمت** »، قال عمر: «**فما حلفتُ بها بعدُ ذاكراً ولا آثراً**»[٢].

ومن ذلك مارواه الإمام البخاري تعليقاً عن عمر رضي الله عنه أنه رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر فقال: «القبرَ القبرَ»، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :«بالنصب فيهما على التحذير»[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، برقم: (١٣٦٠)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، ما لم يشرع في النزع، برقم: (١٣٢).

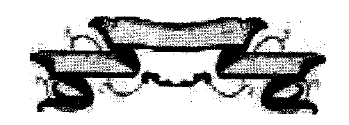
(٢) رواه أحمد (٨/ ١١٨)، برقم: (٤٥٢٣)، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الكفارات، باب النهي عن الحلف بغير الله، برقم: (٢٠٩٤)، قال العلاَّمة الألباني «صحيح».

* **ذاكراً**: أي عن نفسي.

* آثراً: أي راوياً عن غيري، بأن أقول: قال فلان: وأبي، ومعنى ما حلفتُ بها: أي ما أجريتُ على لساني الحلفَ بها، فيصح التقسيم إلى القسمين، وإلا فالرواي عن الغير لا يُسمى حالفاً. قاله السندي في «حاشيته» (٢/ ٥٣٩).

(٣) «فتح الباري»(٢/ ٦٢٥).قال الحافظ: «والأثر المذكور عن عمر رضي الله عنه رويناه موصولاً في كتاب الصلاة لأبي نُعيم شيخ البخاري».وانظر أيضاً «تغليق التعليق» (٢/ ٢٢٨).

وقال العلاَّمة مبارك الميلي الجزائري[١] رحمه الله: « وإن لم يكن بعقلك بأس؛ فستُسلِّم معي شدة عناية النبيين ببيان الشرك، وعدم الاكتفاء بشرح التوحيد، وستعجب معي من قلة اهتمام أكثر علمائنا بذلك!! كأن لا حاجة بالمسلمين إليه؛ تجد في كلامهم على الفروع عنايةً بتفصيل أحكام مسائل نادرة أو لا توجد عادة، ولا تجدهم يعنون تلك العناية بالأصول؛ فيحددون الشرك، ويفصلون أنواعه، ويعددون مظاهره، حتى يرسخ في نفوس العامة الحذر منه والابتعاد من وسائله، ولا يفقد المتأخر نص من قبله في جزئية من ذلك »[٢].



---

(١) هو: مبارك بن محمد الميلي رحمه الله، «من كبار علماء الجزائر ومجدديها» وقد كان أمين عام «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»، كما أن له آثار عظيمة في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، ومن أعظمها كتابه:«الشرك ومظاهره». ولد عام ١٣١٦هـ، وتوفي عام ١٣٦٤هـ. انظر: «مقدمة الشرك ومظاهره» لأبي عبدالرحمن محمود.

(٢) «الشرك ومظاهره» مبارك الميلي (ص/ ٤٦-٤٧).

٤٤- ضلال أكثر الناس عن التوحيد، وعدم استجابتهم له، دليل على وجوب الاهتمام به.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٥).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٩.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٠.

(٤) سورة هود، الآية: ١٧.

(٥) سورة هود، الآية: ٤٠.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(٣).

وجاء في حديث بريدة بن الحُصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد»**(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما صُدِّقَ نبيٌّ من الأنبياء ما صُدِّقْتُ، إن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلا رجل واحد»**(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»** قيل من هي يا رسول الله؟ قال: **«هي الجماعة»**(٦).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٧١.

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنَّة بغير حساب ولا عذاب، برقم: (٥٢٧).

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه»، برقم: (٢٣٠٥)، و«صححه» العلاَّمة الألباني في «الصحيحة» برقم: (٣٩٧).

(٦) بهذا اللفظ: رواه أحمد في «مسنده»، (٣/ ١٤٥)، وأبو داود، كتاب السنة، باب شرح السُنَّة، برقم: (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، وابن ماجة، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، برقم:(٣٩٩١، ٣٩٩٣)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني برقم: (٢٠٤) وتوسَّع في تخريجه وكذلك في (١٤٩٢).

وفي رواية: « **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** »[(١)].

هذه الأدلة وغيرها من الأدلة الكثيرة تدل دلالة واضحة على أن الحق لا يكون بالكثرة، فلا يغتر بها ولا يقاس بها، قال علي ﷺ: « إن الحق لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله »[(٢)].

وقال سفيان الثوري ﷺ: « أُسلكوا سبيل الحق، ولا تستوحشوا من قلَّة أهله »[(٣)].

وقال العلاَّمة عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ متأسفاً على أهل زمانه: « فما أعزَّ من يعرف حقيقة التوحيد، بل ما أعزَّ من لا يُعادي من عرفه ودعا إليه، فلقد عمَّ الجهلُ بالتوحيد حتى نُسب أهلهُ إلى الابتداع »[(٤)].

---

(١) بهذا اللفظ رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم:(٢٦٤٠-٢٦٤١). وقال عنه: «حديث حسن غريب»، و«حسَّنه» العلاَّمة الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» (ص/ ٥٩٥).

* **تنبيه**:عَمِدَ بعض أهل البدع في زماننا إلى تضعيف هذا الحديث بروايتيه؛ لكونه شديداً عليهم، فتنبه! لهذه الدعوات، واعلم أن مسيرتها مبتدعة، ورايتها ضالة.

(٢) «تلبيس إبليس» (ص/ ٨٠).

(٣) «الاعتصام» (١/ ٣٩).

(٤) «المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد» (ص/ ١٢١).

وإنه لمن المؤسف حقاً! أن يوجد من يفهم من قول النبي ﷺ: «**إن الشيطان يئس أن يعبدَهُ المصلون في جزيرة العرب**»(١)، على أنه لن يوجد شرك في جزيرة العرب بحالٍ من الأحوال!، وجهل هذا المسكين أحاديث النبي ﷺ الأخرى التي تدل على أنه واقع لا محالة منه، والتوفيق بين هذا الحديث والأحاديث الدالة على وقوعه ما أجاب به العلماء من ذلك ما يلي(٢):

أولاً: حصول الردَّة بعد وفاة النبي ﷺ:

إن كثيراً من العرب ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ فرجعوا إلى الكفر وعبادة الأوثان، وكثير صدَّقوا من ادعى النبوة كمسيلمة وغيره، ومن أطاع الشيطان في نوع من أنواع الكفر فقد عبده، لا تختص عبادة الشيطان بنوع من الشرك لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ الآية(٣)، أي لا تطيعوه، فعبادته طاعته. يوضح ذلك تفسير النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾(٤) إنه طاعتهم في التحريم والتحليل فسمى ذلك اللهُ شركاً

---

(١) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسانٍ قريناً، برقم: (٧١٠٣).

(٢) هذا الجواب اختصرته ورتبته وجزئته من كتاب: «دحض شبهات على التوحيد من سوءِ الفهم لثلاثة أحاديث»، للعلاَّمة عبد الله بن عبد الرحمن البابطين رحمه الله (ص/ ٢٧)، بتحقيق الشيخ: عبد السلام بن برجس العبدالكريم رحمه الله.

(٣) سورة يس، الآية: ٦٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣١.

وعبادتهم منهم للأحبار والرهبان.

ثانياً: إخبار النبي ﷺ بوقوع الشرك في آخر هذه الأمة، وعبادة الأوثان.

وأيضاً فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: « **لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى** »[(١)]، وقال: « **لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات**[(٢)] **نساء دوس حول ذي الخلَصة**[(٣)] »[(٤)]، وهو صنم كان لهم في الجاهلية بعث النبي ﷺ لهدمه جرير بن عبد الله. فتبين أن عبادة الشيطان وجدت بعد موت النبي ﷺ في جزيرة العرب، وتوجد إلى آخر الزمان بهذه النصوص الثابتة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، برقم:(٧٢٩٩)، بلفظ: «**لا يذهبُ الليل والنهار حتى تُعبد الأَّت والعزى**». أما لفظ المؤلف فقد رواه ابن عدي في الكامل (٧/ ٢٥١٧)، «وسنده ضعيفٌ جداً». انظر: «**تعليق الشيخ عبد السلام بن برجس العبدالكريم** ؒ».

(٢) مفردها (**إلية**) وهي: ما رَكِبَ العَجْزُ من اللحم والشحم والجمع أليات. «لسان العرب» (١/ ١٩٤).

(٣) قال ابن الأثير ؒ: «أراد لا تقوم الساعة حتى ترجِع دَوْس عن الإسلام فتطوف نساؤهم بِذِي الخَلَصَة وتضْطرِب أعجازُهُنّ في طَوافِهِنّ كما كُن يَفْعَلن في الجاهلية» «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٦٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب تغيُّر الزمان حتى تُعبد الأوثان، برقم: (٧١١٦). وجاء فيه: «وذو الخلَصة: طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية»، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، برقم: (٧٢٩٨).

وقال النبي ﷺ: « **لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** » قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: « **لتأخذن هذه الأمة مأخذ الأمم قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع**» قالوا يا رسول الله: فارس والروم؟ قال: « **ومن الناس إلا أولئك**»(٢). فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة تفعل كما فعلت الأمم قبلها: اليهود والنصارى وفارس والروم، وأن هذه الأمة لا تقصر عما فعلته الأمم قبلها، وقال: « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله** »(٣).

ثالثاً: حصول الشرك ووقوعه في جزيرة العرب:

عُرف يقيناً أن الشرك وقع في الجزيرة كثيراً عند مشاهد وقبور يمناً

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، برقم: (٣٤٥٠)، ومسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، برقم: (٦٧٨١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، برقم: (٧٣٢٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، بابٌ (٢٨)، برقم: (٣٦٤١)، ومسلم واللفظ له، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، برقم: (٤٩٥٠).

وحجازاً؛ من دعاء الأموات والغائبين، والاستغاثة بهم وسؤال الحاجات، وتفريج الكربات والتقرب إليهم بالنذور والذبائح، وكذلك الذبح للجن والاستغاثة بهم.

وقد تحقَّق الوعد النبوي فعَبدَ فئامٌ من هذه الأمة الأوثان فعبدوا ذا الخَلَصَة في منطقة تبالة قرب بيشة واضطربت حوله أليات نسائهم، كما أنهم عبدوا غيره من الأوثان، حتى أصبحت جزيرة العرب قباباً وأصناماً ومشاهداً تُعبدُ من دون الله تعالى.

حتى جاء اللهُ بالإمام المصلح **عبد العزيز بن محمد آل سعود** رحمه الله فهدمه، كما أنه رحمه الله هدم غيره من الأوثان والقباب التي في مكة، وكربلاء على قبر الحسين، وعُمان، وغيرها من البلدان حتى توفاه الله[١]، فخلفه من بعده بزمن **الإمام المصلح الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود** رحمه الله فهدم الأضرحة التي في بقيع المدينة النبوية، والتي في جُدة، ونَجران، وغيرها من أماكن الشرك وعبادة غير الله تعالى[٢].

---

(١) انظر: «عنوان المجد في تاريخ أهل نجد»، عثمان بن عبد الله بن بشر (١/ ٢٥٧ـ٢٦٣).

(٢) انظر: «أعلام الحجاز، لمحمد علي المغربي (١/ ١٠٤-١٠٥)، و«تعليقات الشيخ محمد ابن بليهد على كتاب صفة جزيرة العرب»، للهمداني (ص٢٨٥)، و«المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد غامد وزهران (ص/ ٩٣)، وكتاب: «رجال حول الملك عبدالعزيز»، لعبد العزيز بن إبراهيم (ص/ ٢٣٣)، وللمزيد انظر كتاب: «عناية الملك

=

وهذا أمر معلومٌ بالتواتر عند من شاهد ذلك وقرأ، فإذا تحققت من ذلك علمت أن قوله ﷺ: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**» ليس فيه معارضة لهذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول، وليس فيه دلالة على استحالة وجود الشرك في أرض جزيرة العرب.

فمن استدل بهذا الحديث على استحالة حدوث الشرك في جزيرة العرب يقال له بيِّن لنا الشرك الذي حرمه الله وأخبر أنه لا يغفره؟!، فإن فسره بالشرك في توحيد الربوبية، فنصوص القرآن تبطل قوله؛ لأنه سبحانه أخبر عن المشركين أنهم يقرون بتوحيد الربوبية كما في قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1]، والآيات في ذلك كثيرة.

وإن فَسر الشرك ببعض أنواع العبادة دون بعض، فهو مكابر ويخاف على مثله أن يكون من الذين في قلوبهم زيغ، يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، مع أنه ليس في الحديث حجة لهم ولا شبهة.

رابعاً: أنَّ الشيطان لا يعلم الغيب ولذلك «يئس».

في الحديث نسبة **اليأس** إلى الشيطان مبنياً للفاعل لم يقل «**أيس**» بالبناء

= عبد العزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها»، لشيخنا الدكتور: محمد بن عبد الرحمن الخميِّس ـ وفقه الله وحفظه ـ.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٩.

للمفعول، ولو قدر أنه يئس من عبادته في أرض العرب إياساً مستمراً فإنما ذلك ظن منه وتخمين[(١)]، لا عن علم لأنه لا يعلم الغيب، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[(٢)] فإنه يطلعه على ما يشاء من الغيب، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾[(٣)] أي: من خير وشر، وهذا من مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله.

وجاء عن النبي ﷺ: « **مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله** »[(٤)]. وكانت الشياطين والجن في زمن سليمان بن داود عليهما السلام يدعون علم الغيب فلما مات سليمان لم يعلموا بموته إلا بعد سنة وهم في تلك السنة دائبون في التسخير والأعمال الشاقة، فلما علموا بموته تبين لهم أنهم لا يعلمون الغيب، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[(٥)].

---

(١) كما قال ربُّ العزة في كتابه الكريم في شأن الرسل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾. [سورة يوسف، الآية: ١١٠].

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٦.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾، برقم: (٤٦٢٧).

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٤.

وقد أخبر نبينا الكريم ﷺ: « **أنه يجاء برجال من أمته يوم القيامة فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار فيقول: أصحابي أصحابي، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك** »[١].

فكيف يقال إن الشيطان يعلم ما تستمر عليه الأمة من خير وشر وكفر وإسلام، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله، ومن يطلعه عليه من رسله.

خامساً: أن معنى الحديث: «أن الشيطان يئس من عبادة جميع الناس له كما كانوا قبل، لا أن يعبده أفرادهم».

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله على الحديث: «المراد أنه يئس أن تجتمع الأمة كلها على الشرك الأكبر». وأشار ابن كثير رضي الله عنه إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾[٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: « يعني يئسوا أن تراجعوا دينهم»، وكذا قال عطاء والسدي ومقاتل ثم قال: « وعلى

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، برقم: (٣٣٤٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٥٩٧٨).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

هذا المعنى يرد الحديث الصحيح » : أن رسول الله ﷺ قال:« **إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب** ».ا.هـ[(١)].

فأشار رحمه الله إلى أن معنى الحديث يوافق لمعنى الآية، وإن معنى الحديث أنه يئس أن يرجع المسلمون عن دينهم إلى الكفر، ولا يدل الحديث: أن الشيطان يئس من وجود شرك في جزيرة العرب أبد الآبدين.

ولعل مما يبيّن ذلك أيضاً: أنه قوله ﷺ «المصلون» فهي لاستغراق جميع المصلين وهذا لا يكون أبداً كما هو معلوم فلا جاهلية ظلماء بعد الإسلام.

ومما يدل على سبق ذكره ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة رنَّ إبليس رنّةً اجتمع إليه جنوده فقال: « **ايئسوا أن تردوا أمة محمد إلى الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم فافشوا فيهم النَوح**»[(٢)].

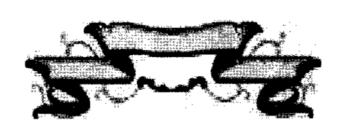
---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٥).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٢٣١٨)، بلفظ: «لما افتتح ﷺ مكة؛ رنَّ إبليس رنةً اجتمعت إليه جنودهُ، فقال: ايأَسُوا أن نرى أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا! ولكن افتنوهم في دينهم، وأفشوا فيهم النَّوح». قال المنذري عقبه: «رواه أحمد بإسناد حسن». الترغيب والترهيب (٣/ ٣٨١). وهذا وهمٌ منه، كما نبه عنه العلاَّمة الألباني وإنما رواه الطبراني وكذا أبو يعلى في «المسند الكبير» «والضياء في المختارة». انظر «الصحيحة» برقم: (٣٤٦٧)، وقال الحافظ الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله =

وحديث عمرو ابن الأحوص الجشمي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول في حجة الوداع للناس: « **أيُّ يوم هذا ؟** » قالوا: يوم الحج الأكبر، قال: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، ألا لا يجني جان إلا على نفسه، الا لا يجني جان على ولده ولا مولود عن والده، ألا وإن الشيطان قد أيس من أن يعبد في بلادكم هذه أبدا ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم فسيرضى به**»[(١)].

فيتبين بهذا كله أنه لا دلالة في الحديث عن استحالة وقوع الشرك في جزيرة العرب، بل الأدلة مؤكدة استحالة وقوعه من كل الناس لا بعضهم، اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك به ونحن نعلم ونستغفرك فيما لا نعلم.



=موثقون». (٣/ ٢٤). وللفائدة فقد كان الشيخ العلاَّمة الألباني رحمه الله يضعفه كما في الضعيفة برقم: (٥٠٠٤) ثم تراجع عن تضعيفه و«صحَّحه». انظر: «الصحيحة» الموطن السابق.

(١) رواه الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في دماؤكم وأموالكم عليكم حرام، برقم: (٢١٥٩)، قال الترمذي رحمه الله: «حديث حسنٌ صحيح» وهذا لفظه، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، برقم: (٣٠٥٥).

٤٥ - أخْذُ رسولنا ﷺ البيعة على التوحيد.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ـ وكان شهد بدراً وهو أحدُ النقباء ليلة العقبة ـ قال: أن رسول الله ﷺ قال ـ وحوله عصابة من أصحابه ـ : وجاء فيه: « **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً** » قال: « فبايعناه على ذلك » (٢).

وقد بوَّب الحافظ ابن منده رحمه الله في كتابه الإيمان على هذا الحديث بقوله: «ذكرُ ما يدلُ على أن النبي ﷺ بايع من أجابه على شهادة أن لا إله إلا الله؛ لا يشركون به شيئاً» (٣).

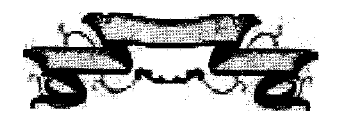
---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب (١١)، برقم: (١٨)، ومسلم، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، برقم: (١٧٠٩).

(٣) «كتاب الإيمان»، (١/ ١٩٤).

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، قال: «كنَّا عند رسول الله ﷺ تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً، فقال ﷺ: « **ألا تبايعون رسول الله؟** » وكنا حديث عهدٍ ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: « **ألا تبايعون رسول الله؟**»، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: «**ألا تبايعون رسول الله؟**»، قال: «فبسطنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! فعلام نبايعك؟ قال: **على أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً**، والصلوات الخمس، وتطيعوا الله ـ وأسر كلمةً خفية ـ ولا تسألوا الناس شيئاً » فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا أن يناوله إياه »[1].



(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة للناس، برقم: (١٠٤٣).

٤٦ - لا يَغفر الله الشرك ولو كان يسيراً.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشِرْكَهُ**»[3].

وقول الله تعالى: « **عملاً** »: نكرة في سياق الشرط تعمُّ كل عمل على الإطلاق صغيراً كان أم كبيراً.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٣) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب تحريم الرياء، برقم: (٢٩٨٥).

٤٧ - جميع الآيات والأحاديث الناهية عن الشرك، السادَّة لطرقه وسبله ووسائله، دالةٌ على أهمية التوحيد.

مما هو متقرر أن النهي عن الشرك هو أمرٌ بضده وهو التوحيد، وكما قيل:

والضدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ وبِضِدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ(١)

فعن عمرو بن مرة عن عبدالله بن الحارث النجراني قال حدثني جُنْدب رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: « **إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم** »(٢).

وقبل أن يموت النبي الكريم ﷺ بلحظات طفق ﷺ يطرح خميصة على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول ﷺ: « **لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم، ما أنتم ومن بالأندلس منه إلا سواء** »(٣).

---

(١) شطر بيتٍ للمتنبي (١/ ٢٢) «شرح العكبري».

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، برقم: (٥٣٢).

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٣٦١-٣٦٢)، وقال عنه السخاوي رحمه الله في كتابه «القول البديع»: «حديثٌ حسن» (ص/ ٢٢٨)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا

=

ومن الأحاديث الدالة على التحذير من اتخاذ القبور مساجد قوله عليه الصلاة والسلام: « **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيثُ كنتم** »[(١)].

وقد أمتثل الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ هذا الباب العظيم باب سد الذرائع[(٢)] وجاء أيضاً عن سهيل ابن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ عند القبر فناداني، وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال: هلمَّ إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر، فقلت: سلمت على النبي ﷺ فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: « **لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، لعن الله اليهود اتخذوا قبور**

= الحديث: «رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ رحمه الله، فيما اختاره من الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين، وشرطه فيه أحسن من شرط الحاكم في صحيحه» نقلاً عن «الاقتضاء» (٢/ ١٧١). وقال أيضاً: «فهذان المرسلان ـ أي حديث الحسن بن الحسن وحديث علي بن الحسين ـ من هذين الوجهين المختلفين يدلان على **ثبوت الحديث**، لا سيما وقد احتج من أرسله به، وذلك يقتضي ثبوته عنده، ولو لم يكن روي من وجوه مسنده غير هذين. فكيف وقد تقدم مسنداً؟» «الاقتضاء» (٢/ ١٧٢)، ولعل شيخ الإسلام أراد بالحديث المسند حديث أبي هريرة كما أورده في «الاقتضاء» (٢/ ١٦٩) وهو «حديثٌ صحيح» عند أبي داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم: (٢٠٤٢)، وهو شاهدٌ لما تقدم، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (٣٧٨٥).

(١) رواه أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم: (٢٠٤٢).

(٢) قدمتُ جملةً منها في مقدمة هذا الكتاب، فلتراجع هنالك.

أنبيائهم مساجد، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم ـ ما أنتم ومن بالأندلس منه إلا سواء ـ ».

وجاء عن علي بن الحسين رحمه الله: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيدعو، فدعاه فقال: ألا أحدثك حديثاً سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: « **لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم** »[(١)].

وقال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله عن حديث علي والحسن ـ السابقين ـ :« فانظر! هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة، وأهل البيت رضي الله عنهم، من رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابنه الحسن رضي الله عنه وابن ابنيه علي بن الحسين زين العابدين والحسن بن الحسن شيخ بني هاشم في زمانه الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار »[(٢)].

يريد الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله أن هؤلاء أحب الناس إلى قلوبهم رسول الله ﷺ لقربهم منه نسباً، وداراً، ولم يفعلوا ما فعل غيرهم، من مخالفةٍ لهديه ﷺ، بل رأوا أن ذلك من الغلو فيه ﷺ وأنه لا يصلح، فالعبرة و البرهان في محبته هو إتباعه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

---

(١) حديثٌ «حسنٌ لغيره»، رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في«فضل الصلاة على النبي ﷺ» برقم: (٣٠) (ص/ ١٢٩)، وعزاه شيخ الإسلام ابن تيمية في «كتابه الاقتضاء» (٢/ ٦٦١-٦٦٣) إلى «سنن سعيد بن منصور» ولم أجده في النسخة المطبوعة ولفظه قريب مما تقدم.

(٢) «الصارم المنكي في الرد على السُبكي»، لابن عبد الهادي (ص/ ٣٢٢).

ٱللَّهُ ﴾[(١)].

وقال العلاَّمة محمد تقي الدين الهلالي الحسيني رحمه الله: «فانظر! إلى أهل البيت رضي الله عنهم كيف صانوا حمى التوحيد اقتداءً بجدهم ﷺ»[(٢)].

وقال النووي رحمه الله: « ولا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ - وذكر أموراً - ثم قال: ولا يُغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث وأقوال العلماء ولا يُلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)[(٣)]، وفي رواية لمسلم: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)[(٤)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**) رواه أبوداود بإسناد صحيح، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ما معناه: (اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين)[(٥)]، ومن خطر بباله أن المسح باليد[(٦)] ونحوه أبلغ في البَركة،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) «القاضي العدل في حكم البناء على القبور»، للهلالي (ص/ ٤٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، حديث رقم:(١٧١٨).

(٤) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، برقم: (١٧١٨).

(٥) «الاعتصام»، للشاطبي (١/ ١٣٥).

(٦) أي مَسْحُ القبر!!

فهو من جهالته و غفلته؛ لأن البركة هي فيما وافق الشرع، وكيف يُبتغى الفضل في مخالفة الصواب! »[(١)].

ويحسن هنا ذكر كلام العلاَّمة ابن القيم رحمه الله في بيان تدرج الشيطان ببني آدم وإيقاعهم في الشرك، قال: « ما زال الشيطان يُوحي إلى عبَّاد القبور، ويُلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور عليها من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب.

ثم ينقلُهم من هذه المرتبة إلى الدعاء به، والإقسام على الله به، فإن شأن الله أعظم، من أن يُقسم عليه، أو يُسأل بأحدٍ من خلقه.

فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور، ويطاف به، ويُستلم ويُقبل، ويُحج إليه ويُذبح عنده!

فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادتهم، واتخاذه عيداً ومنسكاً، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم.

وكل هذا مما قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام، إنه مضادٌ لما بعث الله به رسوله ﷺ: من تجريد التوحيد، وأن لا يُعبد إلا الله.

---

(١) «المجموع شرح المهذب» (٨/ ٢٠٦-٢٠٧).

فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية، وحطهم عن منزلتهم وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١)، وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن انتسبوا إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفَّروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه، ورسوله، ويأبى الله ذلك ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(٢) »(٣).

ومن أدلة سدِّ النبي ﷺ لذرائع الشرك أيضاً ما جاء عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها وغيرهما: « كسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ **إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتُمْ فصلّوا**

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٥.

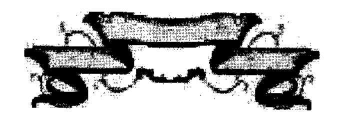
(٢) سورة الأنفال: الآية: ٣٤.

(٣) «فتح المجيد» (ص/ ٢٥١-٢٥٢)، رتَّب الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله هذا النصَّ فأحسن ترتيبه رحمه الله، ولذا تم العزو إليه، وانظره كاملاً في «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٨٩-٣٩٠)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٢٢٣).

وادعوا الله»[١].

ومن ذلك أيضاً ما روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: « تُنقض عُرى الإسلام عروة عروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»[٢].

ورحم الله العلاَّمة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب إذ يقول: « **فمن لم يعرف الشرك لم يعرف التوحيد، وبالعكس** »[٣].



---

(١) رواه البخاري، كتاب الكسوف، باب: الصلاة في كسوف الشمس، برقم: (١٠٤٣)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب: صلاة الكسوف، برقم: (٢٠٨٩).

(٢) انظر: «درء التعارض» (٥/ ٢٥٩)، «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٨٩).

(٣) «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٣٠٠).

٤٨ - غَيْرة طائرٍ على التوحيد، دليلٌ على أهميته، ووجوب الغَيْرة عليه.

لقد غار طائر الهدهد في زمن سليمان عليه السلام لما رأى قوم سبأ يعبدون غير الله عز وجل: قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « ولما كان الهدهد داعياً للخير، وعبادة الله وحده والسجود له، نُهي عن قتله[2] »[3].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٠-٢٦.

(٢) لحديث: «نهى رسول الله ﷺ عن قتل الصُرد والضفدع والنملة والهدهد» رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٣٢). وابن ماجه، كتاب الصيد، باب ما يُنهى عن قتله، برقم:(٣٢٢٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٨٨).

وقال العلاَّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: « فحدث الهدهد، سليمان عليه السلام، بما رآهم يفعلونه، من السجود لغير الله؛ والسجود نوع من أنواع العبادة، **فليت أكثر الناس عرفوا من الشرك ما عرف الهدهد؛** فأنكروه، وعرفوا الإخلاص فالتزموه؛ وبالله التوفيق، وسبحان من غرس التوحيد في قلب من شاء من خلقه، وأضل من شاء عنه، بعلمه وحكمته وعدله »[(١)].

وصدق سهل بن عبد الله التستري رحمه الله إذ يقول: « عليكم بالأثر والسُّنة، فإني أخاف أنه سيأتي عن قليلٍ زمانٌ إذا ذَكَرَ إنسانٌ النبي ﷺ والاقتداءَ به في جميع أحواله ذمّوه ونفروا عنه، وتبرؤوا منه، وأذلوه وأهانوه »[(٢)].

قال العلاَّمة سليمان ابن عبد الوهاب رحمه الله معلقاً على أثر سهل:« رحم الله سهلاً ما أصدق فراسته، فلقد كان ذلك وأعظم: وهو أن يكفر الإنسان بتجريد التوحيد والمتابعة، والأمر بإخلاص العبادة لله، وترك عبادة ما سواه، والأمر بطاعة رسول الله ﷺ، وتحكيمه في الدقيق والجليل »[(٣)].

---

(١) «الدُرَر السَنية» (٢/ ٢٧٧).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (٧/ ١٢٤).

(٣) «تيسير العزيز الحميد» (١/ ١٥٧).

٤٩ -ومن فضائل التوحيد: أن الكائنات كلها توحد الله تعالى، وتسبحه وحده لا شريك له.

قال الله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[١].

قال مجاهد رحمه الله: « كل الأشياء تُسَبِّحُ لله، حيًّا كان أو ميتاً أو جامداً، وتسبيحها سبحان الله وبحمده »[٢].

وقال الأزهري رحمه الله في معنى التسبيح: « وجِماعُ معناه بُعده تبارك وتعالى عن أن يكون له مثلٌ أو شريك أو ضِدٌ أو نِدٌ »[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « والأمر بتسبيحه يقتضي تنزيهه عن كل عيبٍ وسُوءٍ، وإثبات المحامد التي يُحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده »[٤].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾[٥].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.
(٢) «معالم التنزيل» (٢/ ٦٨٥).
(٣) «تهذيب اللغة» (٤/ ٣٣٩).
(٤) «دقائق التفسير» (٥/ ٩٥).
(٥) سورة سبأ، الآية: ١٠.

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[1].

وقد جاء عن النبيﷺ، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول اللهﷺ في سفر فَقَلَّ الماء فقال: « **أطلبوا فَضْلةً من ماء** » فجاؤا بإناء فيه ماءٌ قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: « **حيَّ على الطهور المبارك والبركة من الله** »، فلقد رأيت الماء ينبُعُ من بين أصابع رسول اللهﷺ، ولقد كُنَّا نسمع تسبيحَ الطعام وهو يُؤكل »[2].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول اللهﷺ: « **أنَّ نملةً قرصتْ نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: أنْ قرصتك نملةٌ أحرقت أُمَّةً من الأمم تُسبِّحُ الله؟** »[3].

---

(١) سورة ص، الآية: ١٧ - ١٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم: (٣٥٧٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرَّق المشرك المسلم هل يُحرَّق؟، برقم:(٣٠١٩)، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن قتل النمل، برقم: (٢٢٤١).

٥٠- ثناءُ الله على ملائكته بتوحيدهم وعدم استنكافهم واستكبارهم عن الإخلاص له سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[(١)].

قال العلاَّمة السِّعْدي رحمه الله: « ينزل الملائكة بالوحي الذي به حياة الأرواح على من يعلمه صالحاً لتحمل رسالته، وزبدة دعوة المرسلين كلهم ومدارها على معرفة الله تعالى وتوحيده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية، وعبادته وحده لا شريك له، فهي التي أنزل الله بها كتبه، وأرسل بها رسله، وجعل الشرائع كلها تدعوا إليها، وتحثُ وتجاهد من حاربها وقام بضدها»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦) ﴾[(٣)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « إنما ذكرهم بهذا ليُتشبه بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم، ولهذا شرع لنا السجود ها هنا لما ذكر سجودهم لله »[(٤)].

---

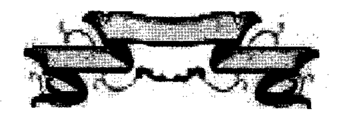
(١) سورة النحل، الآية: ١-٢.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص/ ٤٣٥) بتصرف يسير.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥٣٩).

ولا شك أن الملائكة الكرام ممن شرفهم الله بالشهادة على أعظم مشهود كما مر في قول الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١).



(١) سورة آل عمران، الآية:١٨.

٥١- « ومن فضائل التوحيد: أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال »(١).

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(٢).

قال الإمام الطبري رحمه الله: « لنوفقنهم لإصابة الحق الطرق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ، وإنَّ الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مُصدقاً رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد أعدائه »(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾(٤).

---

(١) «القول السديد في مقاصد التوحيد» (ص/ ٢٥).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٣) «جامع البيان» (٢١/ ١٥).

(٤) سورة النور، الآية: ٥٥.

قال العلاَّمة السِّعْدي رحمه الله: « هذا من أوعاده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل.

فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، ولا يخافون أحدا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان، بسبب

إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح »[(١)].

ومن تلكم النماذج الفريدة في حصول الأمن والأمان لمن حقق توحيد الله تعالى؛ ما سطره المؤرخ الشهير الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر رحمه الله عن زمن الإمام المصلح عبد العزيز بن محمد آل سعود رحمه الله، فذكر أن السبل والطرق تأمنت كثيراً في عهد الإمام عبد العزيز فكان أهل الأسفار يسافرون من اليمن وتهامة الحجاز والبصرة والبحرين وعُمان و نُقرة الشام وبلدان العجم والعراق يحجون ويرجعون إلى أوطانهم لا يخشون أحدًا، ولا يؤخذ منهم الإتاوات والقوانين والجوائز التي يأخذها الأعراب على الدروب يحيون بها سنن الجاهلية فبطلت جميعها ولله الحمد، بل صار بعض العمال إذا جاءوا بالأخماس والزكاة من أقاصي البلاد يجعلون مزاود الدراهم أطناباً لخيمتهم وربطاً لخيلهم لا يخشون سارقاً ولا غيره، فنمت المواشي والثمار وساد الأمن جميع البلاد وهذا الأمر لم يوجد في جزيرة العرب إلا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا شك أن هذا من أثر تحقيق عقيدة السلف الصالح التي أظهرها الشيخ رحمه الله[(٢)].

ويَحسنُ هنا ذكرُ ما حكاه العلاَّمة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي الحسيني رحمه الله عن الأمير **الصالح** ماجد بن موقد رحمه الله ـ أمير النخيل وهي جهة الحناكية ـ إذ يقول:« **قد علمتنا التجارب التي شاهدناها بأعيننا أن النصر**

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص/ ٥٧٣).

(٢) انظر: « عنوان المجد في تاريخ نَجد » (١/ ٢٦٨-٢٦٩).

مقرون بالتوحيد والهزيمة مقرونة بالشرك، فقد كنا نحن أنفسنا ـ قبل أن يمنَّ اللهُ علينا بالهداية ـ نستعدُ لقتال أهل التوحيد إخوان من أطاع الله بالآلاف والخيل والسلاح، فيأتينا منهم ثلاثمئة أو أربعمئة فإذا رأينا قلتهم طمعنا في استأصلاهم حتى إذا رفعوا أصواتهم وقالوا: لا إله إلا الله، وهجموا علينا تفرَّق جمعنا وانهزمنا لا نلوي على شيء»[1].

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[3].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾[4].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال أوصاني خليلي ﷺ: **«أن لا تُشْرِك بالله شيئاً وإنْ قُطِّعْتَ وحُرِّقْتَ، ولا تترك صلاة مكتوبة معتمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر»**[5].

---

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١١٠.

(٤) سورة غافر، الآية:٥١.

(٥) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء، برقم: (٤٠٣٤)، و«حسَّنه» العلاَّمة الألباني في تحقيقه على السنن (ص/ ٦٦٧).

٥٢- ومن فضائل التوحيد: « أنَّ الله يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه، والطمأنينة بذكره »[(١)].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾[(٢)].

ومن ذلك ما ورد من حفظ الله تعالى للغلام كما في قصة أصحاب الأخدود الذي جَابَهَ الملك وأمره بتوحيد الله فأمر الملك برميه من على شاهق، فما زاد أن قال: اللهم! أكفنيهم بما شئت، فرجف الجبل وسقطوا إلا هو، ثم أمر به الملك أن يقذف في البحر، فقال اللهم! أكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك .... إلى آخر الحديث[(٣)].

وقد ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله: «أنَّ أحد السلف كتب إلى أخٍ له فقال: «أما بعدُ: **فإن كان الله معك فمن تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟** والسلام»[(٤)].

---

(١) «القول السديد في مقاصد التوحيد» (ص/ ٢٥).

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٨.

(٣) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، برقم: (٣٠٠٥).

(٤) «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب» (٣/ ١١٣)، رسالة: « نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[١] قال: « وقد يُشكل على بعض الناس، فيقول: الرسل قد قتل بعضهم، فكيف يكونون منصورين؟» فيقال: «القتل إذا كان على وجهٍ فيه عزة الدين وأهله كان هذا من كمال النصر، فإن الموت لابد منه، فإذا مات ميتةً يكون بها سعيداً في الآخرة فهذا غاية النصر، كما كان حال نبينا ﷺ فإنه استشهد طائفة من أصحابه فصاروا إلى أعظم كرامة، ومن بقي كان عزيزاً منصوراً، وكذلك كان الصحابة يقولون للكفار»: أخبرنا نبيُّنا: أن (**من قُتِل منَّا دخل الجنة، ومن عاش منَّا ملك رقابكم**)[٢].

فالمقتول إذا قتل على هذا الوجه كان ذلك من تمام نصره ونصر أصحابه، ومن هذا الباب حديث الغلام الذي رواه مسلمٌ[٣]، لمـَّا اتَّبع دين الراهب وترك دين الساحر، وأرادوا قتله مرةً بعد مرةٍ فلم يستطيعوا، حتى أعلمهم بأنه يُقتل إذا قال الملك: بسم الله رب هذا الغلام. ثم يرميه، ولمـَّا قُتل آمن الناس كلُهم، **فكان هذا نصراً لدينه** »[٤].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٧١-١٧٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، برقم: (٣١٥٩). بلفظ: «من قُتل منا صار إلى الجنَّة في نعيم لم يرَ مثلها قط، ومن بقي منا ملكَ رِقابكم».

(٣) رواه مسلم بطوله في كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود، والساحر والراهب والغلام، برقم: (٣٠٠٥).

(٤) «اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية» للحافظ ابن عبد الهادي (ص/ ٧٠).

٥٣- ومن فضائل التوحيد: « أنه يحرِّر العبد من رق المخلوقين، والتعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العِزُّ الحقيقي والشرف العالي»[(١)].

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(٢)].

قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله في تفسيره الآية: « كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذُلاً، وأشقاه عيشاً، وأجوعه بطونا، وأعراه جلودًا وأبينه ضلالاً، مكعومين[(٣)] على رأس حجر، بين الأسدين فارس والروم، ولا والله ما في بلادهم يومئذٍ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًا، ومن مات منهم رُدِّيَ في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قَبِيلاً من حاضرِ أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلاً منهم، حتى جاء الله بالإسلام فمكن به في

---

(١) «القول السديد في مقاصد التوحيد» (ص/ ٢٤).

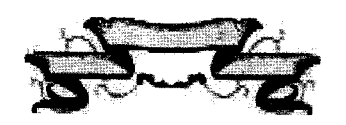
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.

(٣) الكِعامُ: «شيء يُجعل على فم البعير كَعَمَ البعيريَكْعَمُه كَعْماً فهومكْعوم وكَعيم شدَّ فاه وقيل شدَّ فاه في هِياجه لئلا يَعَضَّ أَو يأْكل والكِعامُ ما كَعَمَه به والجمع كُعُمٌ». انظر: «لسان العرب» (١٢/ ١١١).

البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلهم به ملوكًا على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله مارأيتم فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم مُنْعِم يحبُ الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله تعالى »[١].

وصدق العلاَّمة ابن القيم في نونيته إذ يقول:

هربوا من الرِقِّ الذي خُلقوا له فبُلوا برِقِّ النفسِ والشيطانِ[٢]



(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٠).

(٢) « شرح نونية ابن القيم » (٢/ ٤٦٦).

٥٤- الداعي إلى توحيد الله داعٍ إلى الله على بصيرة.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١).

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: « قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته سبيلي وطريقتي ودعوتي » (٢).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « يقول الله تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله؛ أي طريقه ومسلكه وسنته؛ وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي » (٣).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.
(٢) «جامع البيان» (١٣/ ٧٩).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٢٢).

٥٥- التوحيد مورثٌ لخشية الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[(١)].

قال أحمد بن صالح الأنطاكي رحمه الله: « من كان لله أعرف كان له أخوف»[(٢)].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « الشرك يدعو إلى الظلم والفاحش؛ كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه؛ ولهذا كلَّما كان القلبُ أضعف توحيدًا وأعظم شركًا كان أكثر فاحشة وأعظم تعلُّقاً بالصور وعشقًا لها »[(٣)].

إن معرفة الله تعالى لا تحصلُ إلا بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته، ولذلك كان للعلماء الربانيين الحَظّ الأكبر والسهم الأوفر من ذلك.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٢/ ٨٥٠).

(٣) «الفوائد» (ص/ ١١٧) بتصرف.

٥٦- التوحيد هو أصل الاستقامة.

التوحيد هو أصل الاستقامة العِباد، فكل استقامة بغير توحيد الله تعالى هي في الحقيقة زيغ واعوجاج وحَيْدة عن الطريق المستقيم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[(١)].

قال الإمام الطبري رحمه الله: « ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به... »[(٢)].

وأورد أيضاً رحمه الله عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قوله: « هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً »[(٣)].

وعن مجاهد وعكرمة: « ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ أي: على لا إله إلا الله »[(٤)].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(٥)].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٢) «جامع البيان» (٢٤/ ١١٤).
(٣) «المصدر السابق نفسه».
(٤) «المصدر السابق» (٢٤/ ١١٥).
(٥) سورة الأحقاف، الآية: ١٣.

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: «**فالصراط المستقيم** نذكر فيه قولا وجيزاً، فإن الناس قد تنوَّعت عباراتهم فيه، وترجمتُهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيءٌ واحدٌ، وهو: طريق الله الذي يرتضيه لعباده، موصلا لهم إليه، ولا طريق إليه سواه، بل الطُّرُق كُلها مسدودةٌ على الخلق إلا طريقهُ الذي نصبه على ألسن رسله وجعله موصلاً لعباده إليه، وهو: **إفراده بالعبودية وإفراد رسوله بالطاعة، فلا يُشرك به أحداً في عبوديته، ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته، فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول.**

ـ إلى أن قال ـ فأيُّ شيءٍ فُسر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين، ونُكْتَةُ ذلك وعَقْدُه: أن تحبه بقلبك كلِّه وتُرْضيه بجهدك كلِّه، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه، ولا تكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته، **الأول**: يحصل بالتحقُّق بشهادة أن لا إله إلا الله.

والثاني: يحصل بالتحقُّق بشهادة أن محمداً رسول الله، وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل له، وهو معرفة ما بعثَ اللهُ به رسلَه والقيام به. فَقُل ما شئتَ من العبارات التي هذا أحسنها وقُطْب رَحَاها»[2].

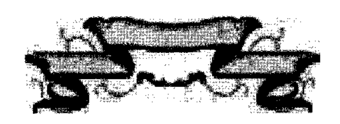
---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٥٢ـ٤٥٣).

ولذا جاء من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك ـ وفي حديث أسامة ـ غيرك، قال: « **قل آمنت بالله ثم استقم** »(١).

قال القاضي عياض رحمه الله: « أي: وحدوا الله وآمنوا به، ثم استقاموا، فلم يحيدوا عن توحيدهم ولا أشركوا به غيره، والتزموا طاعته إلى أن توفوا على ذلك »(٢).



---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم: (٣٨).

(٢) «إكمال المُعلم بفوائد مسلم» (١/ ٢٧٥).

٥٧- أهل التوحيد هم أهل تذوق الإيمان حقاً.

عن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **ذاق طعم الإيمان، من رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ رسولاً** »(١).

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله: « وهو عبارةٌ عما يجده المؤمنُ المحقق في إيمانه المطمئن قلبه به؛ من انشراح صدره وتنويره بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسوله، ومعرفة مِنَّة الله تعالى عليه في أن أنعمَ عليه بالإسلام، ونَظَمه في سِلْك أُمّة محمد خير الأنام، وحبَّبَ إليه الإيمانَ والمؤمنين، وبغَّض إليه الكفر والكافرين، وأنجاه من قبيح أفعالهم وركاكة أحوالهم. وعند مطالعة هذه المنن والوقوف على تفاصيل تلك النِّعم تطيرُ القلوب فرحاً وسروراً، وتمتلئ إشراقاً ونوراً، فيا لها من حلاوة ما ألذها! وحالة ما أشرفها!، فنسأل الله تعالى أن يمنَّ بدوامها وكمالها، كما مَنَّ بابتدائها وحصولها »(٢).

وكذلك أهل الإيمان فإنهم يتذوقون طعم الإيمان في إرجاع النعم للمنعم بها حقيقة، فلا يشكرون غيره، ولا يبتغون رباً سواه.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ رسولاً، فهو مؤمن، برقم: (٣٤).

(٢) «المُفهم لما أُشكل من تلخيص مسلم»، للقرطبي (١/ ٢١٠).

فقد جاء من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال: « **هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ وكافر؛ فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمنٌ بي وكافرٌ بالكوكب، وأما من قال بنَوء كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي ومؤمنٌ بالكوكب** »[1].



---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلَّم، برقم: (٨٤٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب كفر من قال مطرنا بالنوء، برقم: (٧١).

٥٨- التوحيد أعلى شعب الإيمان.

التوحيد هو كلمة الله العليا، ومكانته هي المكانة العظمى، ومنزلة هي المنزلة الرفيعة التي لا يوازيها شيء البتة.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ساق الإمام الطبري رحمه الله بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ﴾: وهي الشرك بالله، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾: وهي: لا إله إلا الله»[2].

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بِضْعٌ وسبعون، ـ أو بِضْعٌ وستون ـ شُعْبَةً فأفضلُها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان**»[3].

فالتوحيد هو أفضل شعبة؛ إذ الدين مبنيٌّ عليه وهو أساسه وأصله، فلا دين إلا بأساس كما أنه لا بنيان إلا بعماد:

وكما قيل:

والبيتُ لا يُبْتَنَى إلا بأعمدةٍ ولا عمادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ[4]

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤٠.

(٢) «جامع البيان» (١٠/ ١٣٧)، «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١٥٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، برقم:(٣٥)، وأصله عند البخاري، كتاب الإيمان، باب دعائكم إيمانكم، برقم: (٩).

(٤) وهذا البيت هو للأفوة الأودِي المتوفى «سنة ٥٧٠»، ذكره ابن حبان بإسناده في كتابه «روضة العقلاء» (ص/ ٢٧٠).

٥٩- عدم وجود خلافٍ في أمور التوحيد بين الصحابة رضي الله عنهم دليلٌ على اهتمامهم ودقة عنايتهم به.

فقد أمرنا ربنا عز وجل أن لا نتبع غير سبيل المؤمنين ولا نحيد عن طريقهم ولا شك ولا ريب أن على رأسهم أصحاب رسول الله ﷺ و رضي الله عنهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[(١)].

وهناك أدلة قاطعة في هذا الباب، من ذلك ما يلي:-

أولاً: أن الخلاف في العقيدة غير سائغ البتة! بل إن صاحبه ممقوت! وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: « **إنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم**»[(٢)].

ومن أعظم الاختلاف الاختلاف في العقيدة؛ فهي رأس الأمر والخلاف فيها ليس بالأمر الهين.

ثانياً: أن تجويز الخلاف في أمور العقيدة مُذْهِبٌ للفارق بين أهل السنة وغيرهم من أهل البدع.

ثالثاً: ورد في كتاب الله تعالى ما يبطل هذا القول في نصوص كثيرة منها قوله تعالى عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، برقم: (٧٢٨٨) ومسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، برقم:(١٣٣٧).

بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرضَ عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(٣)].

فقد رضي الله عنهم وعن طريقتهم وعلَّق ـ سبحانه ـ الفوز والهداية بالتمسُّك بمنهاجهم، واقتفاء آثارهم، والسير على طريقتهم، قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[(٤)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه فلا ينقصه أبداً، **وقد رضيه فلا يسخطه أبداً** »[(٥)].

رابعاً: ما جاء في سنة رسول الله ﷺ مما يدل على ذلك.

من ذلك ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ: « **كان كثيراً ما يرفع رأسه إلى**

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) «الصارم المسلول» (ص/ ٥٧٢).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٤).

السماء، فقال: النجوم آمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون!، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون!»[1].

فهم ﷺ صمامُ أمانٍ لهذه الأمة، فلم تحدث فيهم البدع ولا الخرافات ولا العقائد الفاسدة ـ وحاشاهم ـ.

خامساً: شهادة الصحابة أنفسهم.

ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في محاجته للخوارج أنه قال لهم لما وصل إليهم وقد اجتمعوا في حاروراء يُريدون الخروج على علي رضي الله عنه: « قالوا: ـ أي الخوارج لابن عباس ـ ما جاء بك؟ فقال: جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ **وليس فيكم منهم أحد!**، ومن عند ابن عمِّ رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله...»[2].

وأيضاً ما جاء عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما احتج على المتحلقين في المسجد يذكرون الله جماعة ويعدون ذلك بالحصى قال لهم: «ما أسرع هلكتكم! **هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون**، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملَّة هي أهدى من ملَّة محمد ﷺ أو

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمام لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، برقم: (٢٥٣١).

(٢) رواه الحاكم، كتاب قتال أهل البغي، باب مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما مع الحرورية، برقم: (٢٧٠٣)، و ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»، برقم: (١٨٣٤) وقد «صَحَّح» إسنادها الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٠-٢٨١).

مفتتحوا باب ضلالة...»[١].

قال عمرو بن سلمة رحمه الله راوي هذا الأثر: «رأينا عامة أولئك الحِلَق يُطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج[٢]».

فاحتج عليهم ابن مسعود رضي الله عنه بقرب أصحاب النبي ﷺ إليهم ومع ذلك لم يسألوهم ولم يرجعوا إليهم، كما احتج عليهم أيضاً بقربِ عهدهم من زمن النبوة.

ومما يدل على أنه لم يكن معهم ممن صحب النبي ﷺ، قول عمرو بن سلمة المتقدم، وما تقدم من كلام ابن عباس رضي الله عنهما «**وليس فيكم منهم أحد**».

ولذا قال ابن مسعود رضي الله عنه في حق الصحابة رضي الله عنهم: «من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[٣].

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: « كل عبادة لم يتعبَّدها أصحاب محمد ﷺ

---

(١) رواه الدارمي، في مقدمته، باب كراهية أخذ الرأي، برقم: (٢١٠).

(٢) ومصدَّاق ذلك ما قاله أبو قِلابة رحمه الله: « ما ابتدع قومٌ بدعة إلى استحلوا السيف» رواه الدارمي في مقدمة « سننه» باب: اتباع السنَّة، برقم: (١٠٠).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»، (١٨١٠)، و أبو نُعيم في «الحلية» بلفظ مقارب منه (١/ ٣٠٥).

فلا تعبَّدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً؛ فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا بطريق من كان قبلكم »[(١)].

ولذا قال العلاَّمة السفاريني رحمه الله: « فأحق الأمة بالصواب أبرها قلوباً وأعمقها علوماً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، من غير شك ولا ارتياب، فكل خير وإصابة وحكمة وعلم ومعارف ومكارم، إنما عُرفت لدينا ووصلت إلينا من الرعيل الأول والسرب الذي عليه المعول، فهم الذين نقلوا العلوم عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتداء »[(٢)].

سادساً : شهادة التابعين لأصحاب محمد ﷺ بسلامة معتقدهم.

فعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال لسائله عن القدَر: « فارض لنفسك ما رضي به **القوم** لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، **فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر!!** وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى

---

(١) رواه أبوداود في الزهد برقم: (٢٨٠)، وأورده أبو شامة في كتابه الباعث (ص/ ١٥)، والشاطبي في «الاعتصام» (٣/ ٥٣) والسيوطي في «الأمر بالاتباع» (ص/ ٦٢).

(٢) «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٣٨٠).

مستقيم... »[١].

ولذا كان التابعون يحرصون أشد الحرص أن يرجعوا لصحابة رسول الله ﷺ في تصحيح معتقدهم وسؤالهم عنه.

ففي أول حديثٍ من صحيح مسلم عن يحي بن يَعْمَر قال: « كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحُميد بن عبدالرحمن الحِميري حاجين أو معتمرين فقلنا: **لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله فسألناه عما يقول هؤلاء بالقدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر داخلاً المسجد** » الحديث[٢].

وجاء عن شريك بن شهاب رحمه الله أنه قال: «كنت أتمنى أن أرى **رجلاً من أصحاب رسول الله** ﷺ يحدثني عن الخوارج قال: فلقيت أبا برزة رضي الله عنه فحدثه»[٣].

* **تنبه!** لقول التابعين: «**أحدًا و رجلاً**» أي: «من أصحاب محمد ﷺ »، وفيه دلالة على أنهم لم يخصصوا أحدًا بعينه لما علِموا من سلامةِ معتقدهم جميعاً رضي الله عنهم.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، برقم: (٤٦١٢). وهو: «صحيحٌ مقطوع» كما حكم عليه العلاَّمة الألباني.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم: (١).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» برقم: (١٩٨٠٤)، والحاكم، كتاب أهل البغي، باب صفات الخوارج وحكم قتلهم، برقم: (٢٦٩٤) وقال: «حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم».

وعن ابن الديلمي رحمه الله قال: « **أتيت أُبي بن كعب** رضي الله عنه فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، قال: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطاك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار ».

قال **ثم أتيت عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه فقال: مثل ذلك، قال **ثم أتيت حذيفة بن اليمان** رضي الله عنه فقال مثل ذلك، قال: **ثم أتيت زيد بن ثابت** رضي الله عنه فحدثني عن النبي ﷺ **مثل ذلك** »[١].

سابعاً: شهادة علماء الإسلام بل إجماعهم على ذلك.

قال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي رحمه الله محتجاً على بدعة الخوض في علم الكلام، قال: « أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت! »[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حاكياً الإجماع على عدم وقوع الخلاف بين الصحابة في أمور الفقه العظيمة فضلاً عن العقائد!!، قال:« وهكذا الفقه إنما وقع فيه الخلاف لما خفي عليهم بيان صاحب الشرع، ولكن هذا إنما يقع

---

(١) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، برقم: (٤٦٩٩).
(٢) «تلبيس إبليس» (ص/ ٨٣).

النزاع في الدقيق منه، وأما الجليل فلا يتنازعون فيه. والصحابة أنفسهم تنازعوا في بعض ذلك **ولم يتنازعوا في العقائد**، ولا في الطريق إلى الله التي يصيبها الرجل من أولياء الله الأبرار المقربين »[(١)].

وقال أيضاً رحمه الله: « وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف رحمه الله[(٢)] في كتابه الذي سماه: **اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات**: فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولاً واحدًا وشرعاً ظاهراً، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك حتى قال: (**عليكم بسنتي**) وذكر الحديث، وحديث (**لعن الله من أحدث حدثاً**)، قال: فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف ـ وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم إذ لم يختلفوا بحمد لله تعالى في أحكام التوحيد، وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنُقل إلينا؛ كما نقل سائر الاختلاف ـ فاستقر صحة ذلك خاصتهم وعامتهم؛ حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين؛ حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن؛ لأن الاختلاف كان عندهم في

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٢٧٤).

(٢) هو: الإمام العارف الفقيه القدوة، ذو الفنون، ولد سنة السبعين ومئتين وستين، قال الذهبي رحمه الله: « قد كان هذا الشيخ قد جمع بين العلم والعمل، وعلوِّ السند، والتمسك بالسنن، ومُتع بطول العُمر في الطاعة». «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٤٢).

الأصل كفرٌ، ولله المنة »[١].

وأما ما استشكله البعض في وقوع بعض الخلاف في بعض المسائل مثل: رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، فقد أجاب عن ذلك العلماء فمن ذلك:

ما قاله الإمام ابن خزيمة رحمه الله: « أهل قبلتنا من الصحابة والتابعات والتابعين ومن بعدهم إلى من شاهدنا من العلماء من أهل عصرنا، لم يختلفوا ولم يشكوا ولم يرتابوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة عيانًا، وإنما اختلف العلماء: هل رأى النبي ﷺ خالقه عز وجل؟ قبل نزول المنية بالنبي ﷺ لا أنهم قد اختلفوا في رؤية المؤمنين خالقهم يوم القيامة، **فتفهَّموا المسألتين لا تغالطوا فتصدوا عن سواء السبيل**»[٢].

وقال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: «وقد تنازع الصحابة في كثير من **مسائل الأحكام** وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا ولكن بحمد الله **لم يتنازعوا في مسألة واحدة** من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم، لم يَسُوموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم: يجب صرفُها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٧١).

(٢) «كتاب التوحيد»، لابن خزيمة (٢/ ٥٤٨).

وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرًا واحدًا، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عِضين، وأقروا ببعضها، وأنكروا بعضها من غير فُرقان مبين، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه»(١).

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وكذلك تنازع الصحابة في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج ، **فهناك انفكاك في الجهة** ، فمن أثبت الرؤية أراد القلبية ، ومن نفى أراد البصرية ، والقولان متفقان »(٢).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: « وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي، في كتاب الرد له(٣)، إجماع الصحابة على أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس رضي الله عنهما من ذلك، وشيخنا يقول: - ابن تيمية - ليس ذلك بخلاف في الحقيقة؛ فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه »(٤).

وقال العلاَّمة الشاطبي رحمه الله : « فإن الخلاف منذ زمان الصحابة رضي الله عنهم إلى الآن واقع في المسائل الاجتهادية »(٥).

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٨٣-٨٤).
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٢٨).
(٣) وهو: « نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله على المريسي الجهمي العنيد ».
(٤) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ٤٨).
(٥) «الاعتصام» (٣/ ١٦١).

و قد وصف العلاَّمة المقريزي رحمه الله حال الصحابة رضي الله عنهم وطريقتَهم مع صفات الله عز وجل:« من أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علِم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ـ على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم ـ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات...، وساقوا الكلام سوقا واحدًا، وهكذا أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفي مماثلة المخلوقين، **فأثبتوا** رضي الله عنهم **بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل**، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت»[(١)].

وقد سُئل شيخنا العلاَّمة عبد المحسن العباد ـ حفظه الله ـ هل يجوز أن يقال إن الصحابة اختلفوا في أمور العقيدة؟؟

فأجاب فضيلته بقوله:« وجد الاختلاف بين الصحابة في الفروع ولم يوجد اختلافٌ في الأصول البتة **وإلا إيش الفرق بين أهل السنة والمبتدعة إذاً؟!**»[(٢)].

---

(١) «الخطط والآثار»، للمقريزي (٢/ ٣٥٦).

(٢) «درس سنن أبي داود» يوم السبت الموافق (٢٠/ ٨/ ١٤٢٣هـ) في المسجد النبوي .

وسألته أيضاً - حفظه الله ـ: هل يجوز أن يقال أن الصحابة اختلفوا في أمور العقيدة؟؟ كما في مسألة رؤية النبيﷺ ربه ليلة أُسري به ، وكذلك مسألة سماع الأموات للأحياء؟؟

فأجاب فضيلته بقوله: « **الصحابة لم يختلفوا في أمور العقيدة**، وأما ما جاء عنهم في: هل رأى النبيﷺ ربه أم لم يره في الإسراء والمعراج؟ **فهذا ليس خلافاً في العقيدة**؛ لأنهم متفقون أن الله يُرى يوم القيامة، والرؤية ثابتة، وهذه هي العقيدة، أما الخلاف في هل النبيﷺ رأى ربه أم لم يره ليلة المعراج؟ فهذا ليس خلافاً في العقيدة ، والراجح أنه لم يره ليلة المعراج ، أما مسألة سماع الأموات للأحياء فلا أعلم خلافاً بين الصحابة، والراجح في هذه المسألة أن نثبت ما أثبته الله ﷻ ورسوله ﷺ كما في سماعهم قرع النعال عند الفراغ من الدفن وغير ذلك مما ثبت ، وأن نسكت عمّا سكت عنه الله ﷻ و رسوله ﷺ»[1].

وقال شيخنا العلاَّمة صالح بن فوزان الفوزان ـ حفظه الله ـ : «**والاختلاف على قسمين:**

القسم الأول: اختلاف في العقيدة، وهذا لا يجوز أبداً؛ لأنه يوجب التناحر والعداوة والبغضاء ويفرق الكلمة، فيجب أن يكون المسلمون على عقيدة واحدة، وهي عقيدة لا إله إلا الله، واعتقاد ذلك قولاً وعملاً واعتقاداً،

---

(١) «سؤال وجهته لشيخنا يوم الثلاثاء ١٥/ ١/ ١٤٢٤هـ بعد صلاة الظهر في بيته».

والعقيدة توقيفية ليست محلاً للاجتهاد، فإذا كانت كذلك فليس فيها مجال للتفرق، فالعقيدة مأخوذة من الكتاب والسنة، لا من الآراء والاجتهادات، فالفرقة في العقيدة تؤدّي إلى التناحر والتباغض والتقاطع، كما حصل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والفرق الضالة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**)، فما يجمع الناس إلا ما كان مثل ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه... »[١].

فبهذا يتبين لك أخي الموحد؛ حرص أصحاب النبي ﷺ على عقيدتهم، وتمسكهم بها، وعضهم عليها بالنواجذ، ولاشك! فهم خير القرون علماً وعملاً وفضلاً، وطريقتهم بلا شك هي خير الطرق المسلوكة سلامةً وحكمةً رضي الله عنهم وألحقنا بهم في عليين[٢].

---

(١) «التعليقات المختصرة على متن الطحاوية» (ص٢٥٥-٢٥٦).

(٢) لا شك أن الإطالة في هذا الموضوع له سببٌ؛ وهو ما انتشر بين بعض المتنسبين للعلم، بل وبعض من يُدرِّس العقيدة للناس ـ وللأسف!! ـ **أن الصحابة** رضي الله عنهم **قد اختلفوا في عقيدتهم ولم تختلف قلوبهم فيسعنا ما وسعهم!!** فهوَّنوا من شأن العقيدة، ومسألة الولاء والبراء، فنتج عن ذلك إدخال بعض الفرق الضالة والمنحرفة في أهل السنة والجماعة؛ كالأشاعرة وغيرهم، نعوذ بالله من الخذلان، كما نعوذ به من الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى.

٦٠- الشرك مفرحٌ للشيطان، كما أن التوحيد مغضبٌ له.

جاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أصبح إبليس بثَّ جنوده، فيقول: من أضلَّ اليوم مسلماً ألبسته التاجَ، قال: فيخرج هذا فيقول: لم أزل به حتى طلق امرأته، فيقول: أوشك أن يتزوج. ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى عقَّ والديه، فيقول: يوشك أن يَبَرَّهما، ويجيء هذا فيقول: لم أزل به حتى أشرك، فيقول: أنتَ أنتَ! ويجيء هذا يقول: لم أزل به حتى قتل، فيقول أنتَ أنتَ! ويُلبسه التاج »**(١).

ولا شك أن الشرك أعظم جُرماً من القتل؛ لقول الله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾(٢). وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

قال الإمام أحمد بن حنبل ﵀ : « **الفتنةُ الشرك** »(٣).

---

(١) رواه ابن حبان، كتاب التاريخ، باب ذكر الإخبار عن وضع إبليس التاج على رأس من كان أعظم فتنةً من جنوده، برقم: (٦١٨٩)، والحاكم «وصَحَّحه» (٤/ ٣٥٠)، «ووافقه الذهبي». وقد حدَّث سفيان الثوري عن عطاء بن السائب قبل الاختلاط. انظر: «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٨٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٣) «الإبانة»، كتاب الإيمان، (١/ ٢٦٠)، برقم: (٩٧).

٦١- كل سؤالٍ في القرآن جاء الجواب عنه بـ«قل»، إلا سؤال التوحيد.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[١].

قال السيوطي رحمه الله: « فإن قيل كيف جاء ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾، وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن بـ«قل»؟ قلنا: حذفت للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء في أشرف المقامات لا واسطة بينه وبين مولاه »[٢].

ولذا قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾[٣].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « **الدعاءُ هو العبادة** »[٤]، ففي الدعاء تحقيقٌ للمحبة والخوف والرجاء لله سبحانه، وهذه هي أركان العبادة القلبية.

كما أخبر سبحانه وتعالى عن حال أنبيائه - صلوات الله عليهم - في دعائهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) «الإتقان في علوم القرآن»، للسيوطي (٢/ ٢٢٢-٢٢٣)، فوائد منثورة في المناسبات.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم: (١٤٧٩)، «وصَحَّحه» العلاَّمة الألباني (ص/ ٢٢٩).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

٦٢- الأمر بتجديد الإيمان بالله تعالى.

جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الإيمانَ ليَخْلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يَخْلَقُ الثوبُ الخَلِقُ، فاسألوا الله أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قلوبكم** »(١).

ولا شك أن حثة ﷺ على دعاء الله تجديد الإيمان، ووصفه ﷺ له بأنه يَبلى يبعثُ في العبد المحافظة عليه، وتعاهده في كلِّ حين؛ كما أنه يحافظ على نظافة ثوبه، ويسوؤه اتساخه.

ورحم الله العلاَّمة ابن القيم إذ يقول: «التوحيد ألطف شيءٍ وأنزهه وأنظفه وأصفاه؛ فأدنى شيءٍ يَخْدِشه ويُدنِّسه ويُؤثر فيه، فهو كأبيض ثوب يكون يؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرآة الصافية جداً أدنى شيء يؤثر فيها، ولهذا تشوِّسه اللحظة واللفظة والشهوة الخفية؛ فإن بادر صاحبه وقلعَ ذلك الأثر بضده، وإلاَّ استحكم وصار طبعاً يتعسر عليه قلعُهُ »(٢).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، باب الأمر بسؤال الله تجديد الإيمان، (١/ ٤)، وقال: «رواته مصريون ثقات»، «ووافقه الذهبي» وقال: «رجاله ثقات».

(٢) «الفوائد» (ص/ ٢٨٢).

٦٣- الأذان هو الدعوة التامة لإقامة التوحيد وتحقيقه.

الأذان على اختصاره هو مشتملٌ على مسائل العقيدة؛ فالتكبير يتضمن وجود الله وإثبات صفات الجلال والعظمة له، والشهادتان تثبتان التوحيد الخالص ورسالة محمد ﷺ وتنفيان الشرك، والدعاء إلى الفلاح يشير إلى المعاد والجزاء، وذكر العلماء أن له حكماً عظيمة منها إظهار شعار الإسلام، وإظهار كلمة التوحيد[(١)].

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ**﴾[(٢)].

قيل في تفسيرها: ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ « هم المؤذنون »[(٣)].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « والمراد بالدعوة التامة: دعوةُ الأذان؛ فإنها دعاءٌ إلى أشرف العبادات، والقيام في مقام القرب والمناجاة؛ فلذلك كانت دعوةً تامة أي: كاملة لا نقص فيها، بخلاف ما كانت دعواتُ الجاهلية »[(٤)].

---

(١) «تيسير العلاَّم شرح عمدة الأحكام» مختصراً، للعلاَّمة عبد الله البسام (١/ ١٣٧).
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.
(٣) ورد ذلك عن قيس ابن أبي حازم عند ابن جرير (٢٤/ ١١٨)، وعند ابن كثير عن عائشة رضي الله عنها ، و ابن عمر رضي الله عنهما، وعكرمة (٧/ ١٨٠).
(٤) «فتح الباري»، لابن رجب (٣/ ٤٦٥).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « الدعوة التامة المراد بها دعوة التوحيد، كقوله: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾[1]، وقيل لدعوة التوحيد تامة لأن الشِرْكَةَ نقص، وقال ابن التين: وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول وهو: لا إله إلا الله »[2].

وجاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ **يُغِيرُ** إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذاناً أمسك، وإلا أغار، فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: « **على الفطرة** »، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: « **خَرَجْتَ من النار** »، فنظروا فإذا هو راعي مِعزى[3].

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: « **من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُهُ ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمدٍ رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر له**[4] »[5].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٢) «فتح الباري»، لابن حجر (٢/ ١١٢-١١٣) باختصار.

(٣) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب الإمساك على الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان، برقم: (٣٨٢).

(٤) اختلف العلماء متى تُقال؟ قولان معروفان: «والأقرب أنها تُقال بعد الشهادتين»؛ لما ورد عن أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه فيما رواه البخاري عنه، كتاب الجمعة، باب يُجيب الإمام على المنبر إذا سمع النداء، برقم: (٩١٤).

(٥) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، برقم: (٥٢٥)، و الترمذي، كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء، برقم: (٢١٠) وقال: «حديثٌ صحيحٌ حسنٌ غريب».

وجاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: « من قال حين يسمع النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة »[١].



(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، برقم: (٦١٤).

٦٤- الصلاة إقامةٌ لتوحيد الله تعالى.

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي عموده الذي يقوم عليه، وبها يتميز المؤمن من المنافق فمن تركها فقد كفر.

لما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: « **إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة** »(١).

والصلاة هي صِلَةٌ بين العبد وربه توحيداً وإقراراً له بالعبودية، قال تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾(٢).

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير الآية: « يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تَصلح العبادة إلا له، لا إله إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي، فأخلص العبادة لي دون كل ما عُبد من دوني، وأقم الصلاة لي فإنك إذا أقمتها ذكرتني»(٣).

ولذا فإنَّ التوحيدَ بارزٌ فيها، بدايةً من تطهير مكان أدائها، وانتهاءً بالأذكار المشروعة عند الفراغ منها، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم:(٢٤٦).

(٢) سورة طه، الآية: ١٤.

(٣) «جامع البيان» (١٦/ ١٤٧).

﴿ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[١]، **والمساجد تُطلق على**: مواضع السجود[٢]، كما تُطلق على بيوت **الصلوات المخصصة**، وعلى الأعضاء التي يَسْجُدُ عليها العبد[٣]، وتطلق على **السُجود**، فإنه جمعُ مَسْجِد، يُقال سجدتُ سُجوداً، ومَسْجِداً[٤].

وفي الحديث عن النبي ﷺ: « **لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** »[٥].

فيبدأ المصلي صلاته بقوله: « **اللهُ أكبر** » فلا أكبر من الله تعالى فهو الكبير المتعال المستحق للعبادة وحده دون من سواه.

ثم يستفتح صلاته بتحقيق التوحيد في الاستفتاح، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستفتح صلاته يقول: « **سبحانك اللهم بحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك** »[٦].

وفي الصيغة الأخرى كما في حديث علي رضي الله عنه: « **وجَّهت وجهي للذي**

---

(١) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٢) كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: « وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ ... » الحديث.

(٣) كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: « أمرتُ أن أسجدَ على سبعةِ أعظم ...» الحديث.

(٤) مختصر من: «معالم التنزيل» (٤/ ٤٨٥)، «زاد المسير» (٨/ ٣٨٢-٣٨٣).

(٥) سبق تخريجه (ص/ ٩٧).

(٦) رواه ابن ماجه،كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة، برقم: (٨٠٤)، وهو عند مسلم من فعل عمر رضي الله عنه، برقم: (٣٩٨).

فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي، ومحيايَ، ومماتي لله ربِّ العالمين، لا شريك له وبذلك أمرتُ وأنا من المسلمين »(١).

ثم يقرأ بأم الكتاب (الفاتحة) ومعلوم ما فيها من إعلاء التوحيد لله تعالى كما سبق بيانه، والعبدُ في صلاته بين تعظيم لله تعالى، وتنزيه له سبحانه.

ثم يختم صلاته بتوحيد الله تعالى وتعظيمه وإثبات العبودية له وحده دون ما سواه ؛ كل ذلك تذكيرٌ للنفس بتوحيده الله تعالى، وغرسٌ له في القلب، وتحذيرٌ من الشرك.

وبعد الفراغ منها شُرع له الإتيان عقبها بجملة من الأذكار؛ فيها التذكير بتوحيد الله تعالى واستشعار ببالغ أهميته.

فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ: كان إذا فرغ من الصلاة وسلَّم، قال: « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم! لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد** »(٢).

وعن الزبير بن العَوام رضي الله عنه أنه كان يقول في دبر كل صلاة، حين يُسلِّم: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير،**

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ودعائه بالليل، برقم: (٧٧١).

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم: (١٣٣٨).

لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبدُ إلا إياه، له النعمةُ وله الفضلُ، وله الثناءُ الحَسَن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»، وقال: «كان رسول الله ﷺ يهلل بهنَّ دبر كل صلاة »[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: « من قال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ بعدما يصلي الغداة عشر مراتٍ؛ كَتب الله عز وجل له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكن له بعدل عتق رقبتين من ولد إسماعيل، فإن قالها حين يُمسي؛ كان له مثل ذلك، وكنَّ له حجاباً من الشيطان حتى يُصبح »[(٢)].

وجاء عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: « من قال في دبر كل صلاة الغداة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير » مئة مرة، وهو ثانٍ رجليه، كان يومئذٍ أفضل أهل الأرض عملاً إلا من قال مثل ما قال، أو زاد على ما قال»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم: (١٣٤٣).

(٢) رواه الخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٣٨٩، ٤٧٢)، وانظر: «الصحيحة» برقم: (١١٣).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٣٣٦)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني، انظر: «الصحيحة» (٢٦٦٤).

٦٥- أعمال الحج والعمرة مبنيةٌ على توحيد الله تعالى.

لا شك أن الحجَّ والعمرةَ من أعظم شعائر الله تعالى التي أمر ـ سبحانه ـ بها فالحجُ هو الركن الخامس من أركان الإسلام، ودعائمه العِظام، وقد جاء تقرير التوحيد فيه في عدة مواطن منها:

في قول الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[(٢)] فهاتان الآيتان فيهما الدلالة الواضحة بأن أداء الحج والعمرة يكون لله وحده لا شريك له، ولا نصيب لأحد فيها.

وجاء في وصف الحجِّ المبرور هو ما كان لله تعالى، فجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: « **من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيومِ ولدتهُ أُمُّهُ** »[(٣)]، ويؤكد ذلك ما جاء عن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في حجته: «**اللهم! حِجَّةٌ لا رياءَ فيها ولا سُمْعَةَ**»[(٤)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم: (١٥٢١).

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الحجِّ على الرَحل، برقم: (٢٨٩٠)، وانظر: «الصحيحة»، برقم: (٢٦١٦).

ومما يبين ذلك ويوضحه ما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في وصف حجة النبي ﷺ وجاء فيه: « **فأهَلَّ بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك** »[1].

وقوله: « **لبيك لا شريك لك** »، هي بمثابة « **لا إله إلا الله** » نفيٌ وإثبات.

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله في حديثه عن الفوائد العظيمة التي في ألفاظ التلبية:

«التاسعة: أنها شعار التوحيد ملة إبراهيم، الذي هو روح الحج ومقصده، بل روح العبادات كلها والمقصود منها، ولهذا كانت التلبية مفتاح هذه العبادة التي يدخل فيها بها.

العاشرة: أنها متضمنةٌ لمفتاح الجنة، وباب الإسلام الذي يدخل منه إليه، وهو كلمة الإخلاص، والشهادة لله بأنه لا شريك له»[2].

ولقد كان المشركون يلبون فيقولون: « **لبيك لا شريك لك، فيقول رسول الله** ﷺ: « **قدٍ قدٍ** »[3]. فيقولون: **إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك** »[4].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم: (٢٩٥٠).

(٢) «تهذيب السنن مع شرح عون المعبود» (٥/ ٢٥٦).

(٣) أي: «حَسْبُ». «لسان العرب» (١١/ ٥٥).

(٤) رواه مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، برقم: (١١٨٥).

ولذا منعهم النبيُّ ﷺ من الحجِّ حتى يوحدوا الله تعالى، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر بعثهُ ـ في الحجَّةِ التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع يوم النحر ـ في رهطٍ يؤذنُ في الناس: «**أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ولا يطوف بالبيت عريان**»[1].

والطواف بالبيت من توحيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾[2] وقد ورد عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما جاء إلى الحجر الأسود ليقبِّله أعلى صوته قائلاً وموضحاً الحكمة من تقبيله: «**إني أعلم أنك حجر لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك**»[3].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «إنما قال ذلك عمر؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحَجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامَه اتِّباعٌ لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحَجر ينفع ويضر

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك، برقم:(١٦٢٢)، وعند أبي داود، برقم: (١٩٤٦)، والترمذي(٨٧١) أيضاً من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعثه.

(٢) سورة قريش، الآية: ٣.

(٣) رواه البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، برقم: (١٥٩٧)، ومسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، برقم: (١٢٧٠).

بذاته، كما كانت تعتقده في الأوثان »اهـ[(١)].

قال القاضي أبو الوليد الباجي رحمه الله: « وقوله: ولولا : **أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك** تبيينٌ بأن تقبيلَهُ وتعظيمَهُ ليس لذاته ولا لمعنى فيه وإنما هو ؛ لأن النبي ﷺ شرع ذلك طاعة لله تعالى»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « قال شيخنا[(٣)] في «شرح الترمذي»: «فيه ـ أي أثر عمر رضي الله عنه ـ كراهية تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله »[(٤)].

تنبيه! ما ورد عند الحاكم من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه لما قال هذا قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنه يضر وينفع»، وذكر أن الله لما أخذ المواثيق على ولد آدم كتب ذلك في رقٍّ وألقمه الحجر، قال: وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق، يشهد لمن استلمه بالتوحيد** »[(٥)]، فإن هذا الأثر لا يثبت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) نقله الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٥٤١).

(٢) «المنتقى شرح موطأ مالك» (٢/ ٣٦٠).

(٣) هو: «الحافظ العراقي».

(٤) «فتح الباري» (٣/ ٥٤١).

(٥) رواه الحاكم، كتاب المناسك، باب الحجر الأسود يمين الله التي يصافح بها خلقه، برقم: (١٧٢٥).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « وفي إسناده أبو هارون العبدي، وهوضعيفٌ جداً »[(١)]، وقد كذَّبه جملة من أهل العلم ولم يُحلوا الرواية عنه[(٢)].

وبهذا يتضح أنه لا يثبت هذا القول عن علي رضي الله عنه لضعف إسناده، ونكارة متنه، وأما ما ورد في الحَجر الأسود وأنه يشهدُ لمن استلمه بحق، فقد ثبت ذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ في الحَجر الأسود: « **والله ليبعثنه الله له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق** »[(٣)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « **إنَّ مسحَ الرُكنَ اليماني والحَجر الأسود يَحُطُّ الخطايا حطّاً** »[(٤)].

والحاج والمعتمر يتجه بعد طوافه إلى المقام فيصلي ركعتين يقرأ في الأولى بـ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وفي الثانية بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ وهما سورتا

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٥٤١).
(٢) انظر: «تهذيب الكمال» (٢١/ ٢٣٢-٢٣٦).
(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٩١)، برقم: (٢٢١٥)، و الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في الحجر الأسود، برقم: (٩٦١)، قال الترمذي: «حديثٌ حسن»، و«صحَّحه» ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الحج، باب ذكر إثبات اللسان للحجر الأسود للشهادة لمستلمه بالحق، برقم: (٣٧١١، ٣٧١٢).
(٤) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٤٤٢)، برقم: (٥٦٢١)، و ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الحج، باب ذكر حطِّ الخطايا باستلام الركنين اليمانيين للحاج والعُمّار، برقم:(٣٦٩٨). «وهذا الحديث من رواية سفيان الثوري عن عطاء بن السائب وقد سمع منه قبل الاختلاط». «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٩١).

الإخلاص، فالأولى مشتملة على التوحيد العملي ـ توحيد الألوهية ـ والأخرى اشتملت على التوحيد العلمي الخبري ـ توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته ـ وكل هذا توكيد للتوحيد في النفوس خلاف الكفار الذين يطوفون ويشركون بالله تعالى عند بيته المحرم!.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال في حديثه: ثم تقدم ـ أي رسول الله ﷺ ـ إلى مقام إبراهيم فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[1]، قال: فقرأ فيهما بالتوحيد[2] و ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[3].

ثم يتجه بعد ذلك إلى الصفا والمروة فيصعد على الصفا ويكبر الله ويوحده تعالى ثم يقول: « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، لا إله إلا الله وحده، أَنْجَزَ وعده، ونصر عبده، وهزَمَ الأحزابَ وحدهُ** »[4].

إلى غير ذلك من الأفعال والأقوال العظيمة التي جاء فيها إعلاء التوحيد لله ربِّ العالمين لا شريك له[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٢) أي: «سورة الإخلاص».

(٣) رواه أبو داود،كتاب المناسك، باب أمر الصفا والمروة، برقم: (١٩٠٩)، وأصله في «صحيح مسلم» كما تقدم ذكره.

(٤) رواه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم: (١٢١٨).

(٥) ولمزيد فائدة انظر: « كتاب دروس عقدية مستفادة من الحج »، لشيخنا الأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ـ حفظه الله ـ وهوكتابٌ جامعٌ ونافع.

٦٦- استخارة الله تعالى لا تكون إلا بتوحيده - سبحانه -

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلِّها كما يعلمنا السورة من القرآن، فيقول: « **إذا همَّ بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهمَّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدِرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعْلَمُ ولا أعلم، وأنت علاَّمُ الغيوب....** » الحديث[1].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « فعوَّض رسول الله ﷺ أمته بهذا الدعاء، عما كان عليه أهل الجاهلية من زجر الطير والاستقسام بالأزلام الذي نظيره هذه القرعة التي كان يفعلها إخوان المشركين، يطلبون بها علم ما قُسم، فتضمن هذا الدعاء الإقرار بوجوده سبحانه، والإقرار بصفاتِ كماله من كمال العلم والقدرة والإرادة، والإقرار بربوبيته، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والخروج من عهدة نفسه، والتبرِّي من الحول والقوة إلا به واعترافِ العبد بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليها، وإرادته لها، وأن ذلك كلَّه بيد وَليِّه وفاطره وإلهِهِ الحق »[2].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، برقم: (١١٦٢).

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٤٠٤) باختصار.

٦٧- خَتْمُ المجالس بكلمات التوحيد، والثناء على الله وتنزيهه كفارةٌ للعبد.

التوحيد هو بداية كل خير ومسكُ ختامه ومن أمثلة ذلك الأذان فمبدأه بـ « الله أكبر الله أكبر » ثم بـ«أشهد أن لا إله إلا الله» وختامه أيضاً بـ« الله أكبر الله أكبر » ثم بـ« لا إله إلا الله »، ومثله ما ورد في ختم المجالس.

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يفتتح مجلسه بالثناء على الله وتوحيده كما في خطبة الحاجة، ويختم مجلسه بتوحيد الله أيضاً؛ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: « **كلماتٌ لا يتكلم بهن أحدٌ في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كُفِّرَ بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذِكر إلا ختم له بهن عليه، كما يُختم الخَاتَم على الصحيفة: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك** »[(١)].

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الأدب، بابٌ في كفارة المجلس، برقم: (٤٨٥٧)، وهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، دون ذكر«ثلاث مرات» كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، برقم: (٣٤٣٣)، قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب». قال العلاَّمة الألباني: « صحيحٌ دون قوله: ثلاث مرات ».

٦٨- من رغب عن التوحيد فقد «سفه نفسه!».

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾[(١)]. إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن ملة إبراهيم عليه السلام: « فإنه جرَّد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يدع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه. ثم قال: «فقد سَفِهَ نَفْسَهُ»: أي بتركه الحق إلى الضلال، حيثُ خالف طريق من اصطفى في الدنيا للهداية والرشاد، .... فترك طريقه هذا ومسلكه وملته واتبع طُرُق الضلالة والغي، فأي سفه أعظم من هذا؟ أم أي ظلم أعظم من هذا؟ »[(٣)].

وعن عبد الرحمن بن أبزى رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أصبح قال: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين**»[(٤)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٥.

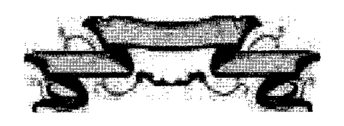
(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤٤٥).

(٤) رواه أحمد في «مسنده» (٢٤/ ١٥٣٦٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١/ ١٣٣)، والعلاَّمة الألباني في «الصحيحة» (٢٩٨٩).

قال العلاَّمة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: « فملَّة إبراهيم: التوحيد، ودين محمد ﷺ: ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً، وكلمة الإخلاص: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وفطرة الإسلام: هي ما فَطَرَ عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له، والاستسلام له عبوديةً وذُلاً وانقياداً وإنابةً، فهذا هو توحيد خاصة الخاصة »(١).

ومن سفه نفسَه فقد أضلها، ولا ضلال أشد من ضلال الشرك كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾(٢).

قال ابن الجوزي رحمه الله: « أي: في الكفر والعَمى عن التوحيد»(٣).



(١) «شرح الطحاوية» (١/ ٥٤).
(٢) سورة مريم، الآية: ٧٥.
(٣) «زاد المسير» (٥/ ٢٥٩).

٦٩- الخطأ في التوحيد خطأٌ ليس بالهين!.

ومما يوضح هذا ما جاء في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: « **أن رسولﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا**[(١)]**: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبيﷺ سبحان الله!! هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم** »[(٢)].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجلٌ للنبي ﷺ **ما شاء الله وشئت!** قال: « **أجعلتني لله نداً!! قل ما شاء اللهُ وحده** » الحديث[(٣)].

ومما يبيّن عظيم ذلك أيضاً ما جاء عن النبيﷺ أنه قال: « **من حَلف بغير الله فقد أشرك** »[(٤)].

---

(١) وفي رواية «ونحن حديثُ عهدٍ بكفر» كما هي عند الطيالسي في «مسنده»، مسند أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، برقم:(٢١٨٠)، قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ صحيح».

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب قول الرجل ما شاء الله وشئت، برقم: (٧٨٣)، و«صَحَّحه» العلاَّمة الألباني في «الأدب المفرد» (ص/ ٢٧٣).

(٤) رواه أحمد في «مسنده» (٩/ ٢٧٥)، برقم: (٥٣٧٥)، وأبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء، برقم: (٣٢٥١)، و الترمذي، كتاب الأيمان

=

وفي رواية «**كلُّ يمين يُحلفُ بها دون الله تعالى شركٌ**»[١].

وقد فقه الصحابة خطر ذلك فقال ابن مسعود رضي الله عنه: « لأن أحلف بالله كاذباً أحبُّ إلي من أن أحلف بغيره صادقاً »[٢].

علَّق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذا الأثر بقوله: « **لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك**»[٣].

ومن ذلك أيضاً حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**دخل الجنَّة رجلٌ في ذباب، ودخل النار رجلٌ في ذباب**»، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: « **مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنمٌ لا يجوزه أحدٌ حتى يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيءٌ أقرِّب، قالوا له: قرِّب ولو ذباباً، فقرَّب ذباباً فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرِّب، فقال: ما كنت لأقرِّب لأحدٍ شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنَّة** »[٤].

والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم: (١٥٣٥) وقال الترمذي:«حديثٌ صحيح».

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٦٧)، بدون لفظة [تعالى].

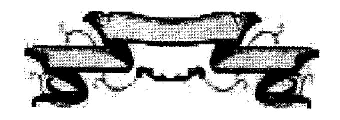
(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنَّفه» رقم (١٥٩٢٩)، وابن أبي شيبة في «مصنَّفه» (١٢٢٨١)، والطبراني في «الكبير» (٨٩٠٢) وغيرهم «وإسنادهُ صحيح».

(٣) «المستدرك على الفتاوى» (٥/ ١٤٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» عن سلمان رضي الله عنه (٧/ ٦٤٢)، و أحمد في «الزهد»

=

علَّق شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: بقوله: «وفيه معرفة قدْر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبرَ على القتل، ولم يوافقهم على طِلْبَتِهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر!»[1].



= (ص/ ١٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣) في ترجمة سلمان، ورجاله ثقات، قال العلاَّمة عبدالعزيز ابن باز رحمه الله : «وطارق ـ ابن شهاب ـ من صغار الصحابة وغالب روايته من طريق أبي موسى الأشعري فهي مرسلة صحيحة فمرسل الصحابي صحيح». «شرح كتاب التوحيد»، للشيخ ابن باز (ص/ ٧٠). وانظر أيضاً: «جامع التحصيل في أحكام المراسيل» للعلائي (ص/ ١٥). وهو أيضاً مما لا مجال للرأي فيه! فيكون له حكم الرفع، كما هو متقرر. والله أعلم.

(١) «كتاب التوحيد» باب: ما جاء في الذبح لغير الله، المسألة العاشرة.

٧٠- التوحيد هو أول شيء يُلَقنُ به الصغار، ويُغْرس فيهم.

لقد حرص نبينا ﷺ أشد الحرص على غرس التوحيد في قلوب أصحابه، ولقد شمل هذا الحرص صغار السنِّ أيضاً؛ فهم ثمرة المستقبل وفلذات الأكباد.

وقد مرَّ معنا نموذجاً من وصية خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، و يعقوب عليه السلام لذريتهما، ومن ذلك وصية العبد الصالح لقمان لابنه وهو يعِظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك منها ما جاء في وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « **يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجَفت الصحف** »[٢].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٢) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (٦٠)، برقم: (٢٥١٦)، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيح»، «وصحَّحه» العلاَّمة الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» (ص/ ٥٦٦).

وجاء في حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أنه كانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَلَ أُحدٍ والجَوَّانية[١]، فاطلعتُ ذات يومٍ فإذا الذئب قد ذهب بشاة عن غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم آسف[٢] كما يأسَفُون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فَعَظَّم ذلك عليَّ، فقلت يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتيني بها**» فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**»، قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**»، قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها، فإنها مؤمنة**»[٣][٤].

---

(١) «مكان بقرب جبل أحد، في شمالي المدينة». «شرح النووي على مسلم» (٥/ ٢٨).

(٢) آسف: «أي أغضب». «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٤٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، برقم: (٥٣٧).

(٤) **وإنك لتعجب أشد العجب!** عندما تسمع ممن يدعي العلم أو بعضه يتجرأ ويقول: **إنه حديثٌ منسوخ!!** بآية المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾، وآية سورة الحديد ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾»، ولم يدرِ ذا المسكين أن **الأخبار لا يدخلها النسخ بحالٍ من الأحوال** كما نصَّ على ذلك علماء الشريعة ومنهم العلاَّمة ابن النحاس رحمه الله حيثُ قال: «**ومنهم من قال: النسخ يكون بالأخبار والأمر والنهي، قال: وهذا القول عظيم جداً يؤول إلى الكفر؛ لأن قائلاً لو قال: قام فلان، ثم قال لم يقم، فقال: نسخته لكان كاذباً**» انظر: «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٤٠٤-٤٠٥)، «نواسخ القرآن»، لابن الجوزي (١/ ١٣١-١٣٢)، «الإتقان في علوم القرآن» (٤/ ١٤٣٧). والجمع بين الحديث والآيتين واضح جداً فالحديث في علو ذات الله، والآيتان على أن علم الله تعالى محيطٌ بنا مع علوه سبحانه علينا، فهو قريبٌ في علوه عالٍ في دنوه، ولذا قال الإمام أحمد رحمه الله

=

وهذا دليلٌ على جواز بل استحباب سؤال الصغار بـ« أين الله؟ » اقتداءً بنبينا الكريم ﷺ في سؤاله لهذه الجارية كما في هذا الحديث.

وهذا هو دأبُ السلف الصالح في بقية أمور الاعتقاد العظام، ونحوه ما جاء عن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال: « كان السلف يُعلِّمون أولادهم حبَّ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما يُعلمون السورة من القرآن» [(١)].

ونحوه أيضاً ما ذكر أبو الحسن الطنافسي رحمه الله بعد أن ساق حديث **(الدجال الطويل)**، قال: سمعتُ عبد الرحمن المحاربي يقول: « ينبغي أن يُدفع هذا الحديث إلى المؤدِّب حتى يُعلِّمه الصبيان في الكُتَّابِ » [(٢)].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل

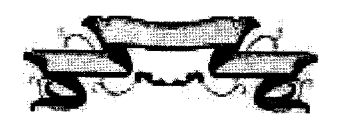
= عن آية المجادلة: « قالوا ـ أي الجهمية ـ إن الله معنا وفينا!، فقلنا: لِمَ قطعتم الخبر من أوله إن الله عزوجل يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، يعني: أن الله بعِلمهِ رابعهم، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ﴾، يعني الله بعِلمهِ ﴿سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾، يعني: بعِلمهِ فيهم، ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، يفتحُ الخبرَ بعِلْمِهِ ويختمُ الخبرَ بعِلْمِهِ. «الردّ على الجهمية» (ص/ ٢٩٧) وانظر: «مختصر العلو»، للذهبي (ص/ ١٩٠)، «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم (ص/ ٢٠٠).

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة » للالكائي (٤/ ١٣١٣).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، برقم: (٤٠٧٧).

الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً »[(١)].

وقال رحمه الله أيضاً: « فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا: (لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ)، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه، وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشه، ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا، وكان بنو إسرائيل كثيرا ما يسمون أولادهم بـ (عمانويل) ومعنى هذه الكلمة إلهنا معنا ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن بحيث إذا وعى الطفل وعقل علم أنه عبد الله وأن الله هو سيده ومولاه »[(٢)].



---

(١) «تحفة المودود بأحكام المولود»، لابن القيم (ص/ ١٦١).

(٢) «المصدر السابق» (ص/ ١٦٤).

٧١- أعظم نصيحة النصح لله تعالى بالتوحيد والأمر بصرف العبادةِ له ـ سبحانه وتعالى ـ.

قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١].

قال القرطبي رحمه الله: « النصيحة لله جل جلاله؛ إخلاص الاعتقاد في الوحدانية، ووصفه بصفات الألوهية، وتنزيهه عن النقائص والرغبة في مَحَابّه، والبعد من مساخطه، والنصيحة لرسوله ﷺ؛ التصديق بنبوته، والتزام طاعته في أمره ونهيه، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، وتوقيره، ومحبته ومحبة آل بيته، وتعظيمه وتعظيم سنته، وإحياؤها بعد موته بالبحث عنها ... » [٢].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩١.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٢٠٨).

٧٢- رضي الله ﷻ التوحيد لنا ديناً، فلا يجوز أن نبتغي غيره

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: عند هذه الآية: « وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه فلا ينقصه أبداً، **وقد رضيه فلا يسخطه أبداً** »[(٢)].

ولاشك أن في مقدمة ما رضي الله تعالى لنا توحيده جل وعلا، فقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً و يكره لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكرهُ لكم قيل وقال، وكثرةَ السؤال، وإضاعة المال** »[(٣)].

---

(١) سورة المائدة، الآية:٣.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٤).

(٣) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، برقم:(١٧١٥).

٧٣- طهارة القلوب تكون بتوحيد الله وحده.

اقتضت حكمة الله جل في علاه أن لا طهارة للقلوب إلا بتوحيده وحده كما أن لا طهارة للأبدان إلا بالماء وضوءً أو غسلاً، ولذا قال الله تعالى آمراً نبيه ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1] قال سعيد بن جبير والضحاك، أي: « من الشِّرك»[2].

قال العلاَّمة السِّعْدي رحمه الله: « يحتمل أن المراد بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإبقائها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات، من شرك، ورياء، ونفاق، وعُجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته »[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[4].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « قال أبو حاتم رحمه الله: وروي عن عبيد بن عمير، وأبي العالية، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وقتادة ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أي: « بلا إله إلا الله، من الشرك »[5].

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٤.

(٢) «زاد المسير»، لابن الجوزي (٨/ ٤٠٢).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص/ ٨٩٥).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤١٩)، وانظر: «جامع البيان» (١/ ٥٣٩).

وقال الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره: « أي ابنياه على التوحيد »[(١)].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾[(٢)].

نقل الإمام البغوي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ « الذين لا يقولون: لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد »[(٣)].

وقال الله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[(٤)].

قال العلاَّمة سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله: « أي: الذين يتنزَّهون من القاذورات والنجاسات بعد ما يتنزَّهون من أوضار الشِّرك وأقذاره»[(٥)].

ومما يدلُّ أيضاً على أن طهارة الأبدان وطهارة القلوب متعلق بعضه ببعض ما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من

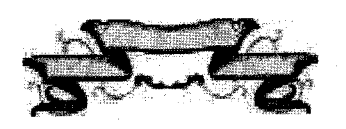
---

(١) «معالم التنزيل» (١/ ١٠٤).
(٢) سورة فصلت، الآية: ٦-٧.
(٣) «معالم التنزيل» (٤/ ٥٨)، «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ١٦٤).
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.
(٥) «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٣٧٨).

توضأ فأحسن الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، فتحتْ له ثمانية أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء »(١).

وجاء أيضاً ما يدلُ على اغتسال الكافر إذا أسلم وإلقاء شعر الكفر كما يشرع له الاختتان.

فعن قيس بن عاصم رضي الله عنه: « أنه أسلم فأمره النبي ﷺ أن يغتسل بماءٍ وسدرٍ »(٢).



---

(١) رواه الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما يقال بعد الوضوء، برقم: (٥٥)، وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب ما يقال بعد الوضوء، برقم: (٤٧٠). و«صَحَّحه» العلاَّمة الألباني في الإرواء برقم: (٩٦).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الجمعة، باب في الاغتسال عندما يُسلم الرجل، برقم: (٦٠٥)، قال الترمذي: «هذا الحديث حسنٌ، والعمل عليه عند أهل العلم».

٧٤- التوحيد مذهبٌ لغِل القلوب!

فعن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ثلاثٌ لا يَغِلُّ عليهن قلب امرئٍ مسلمٍ: إخلاصُ العمل لله، ومناصحةُ ولاة الأمر، ولزومُ جماعة المسلمين** »[(١)].

قال ابن الأثير ﷺ: « والمعنى أن هذه الخلال الثلاث تُستصلح بها القلوب، فمن تمسَّك بها طَهُر قلبُه من الخيانة والدَّغَل والشر »[(٢)].

أعظم ما يُستصلح به القلوب توحيد الله تعالى؛ لأنه يُعَوِّد المرء على العدل والإنصاف، وعدم الظلم، وإعطاء الحق لأهله، ويورث الخوف، ومراقبة الله تعالى في الأعمال والأقوال، فمن يكن هذا حاله، فكيف لا يَصْلُحُ قلُبه!، ولذلك بدأ النبي ﷺ بالتوحيد لأن ما بعده يتبعه.

---

(١) رواه أحمد (٢٧/ ٣٠٠)، برقم: (١٦٧٣٨)، وابن ماجه، المقدمة، باب من بلَّغ علماً، برقم: (٢٣٠)، وصححه ابن حبان، كتاب العلم، باب ذكر رحمة الله جل وعلا من بلغ أمته ﷺ **حديثاً صحيحاً عنه!**، برقم: (٦٧)، و«الصحيحة» برقم: (٤٠٣).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٨١).

٧٥- التوحيد أهم أسباب وحدة المسلمين وترابطهم.

لا شك أن التوحيد هو أهم أسباب وحدة المسلمين؛ فإنهم إن دعوا واحدًا وعبدوا واحدًا وتوجهوا لواحدٍ فإن توحيد القصد من أعظم أسباب توحيد القلوب والأبدان، أما لو تفرقت بهم السبل والعقائد أدى ذلك إلى التنازع وضعف شوكتهم، وتفرق قوتهم، فيصبحون فريسةً سهلةً ولقمةً صائغة للأعداء، قال ربُّ العزة: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾[2].

وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣- ١٠٥ .

(٣) سورة الروم، الآية: ٣١-٣٢.

قال الإمام الطبري رحمه الله: «كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فرقوا دينهم الحق، فأحدثوا البدع التي أحدثوا، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: يقول: بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسرورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم»(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾(٢).

قال جمعٌ من المفسرين: لما ذكر الله تعالى الأنبياء قال: **هؤلاء كلهم مجتمعون على التوحيد**، ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: ديناً واحدًا وهو الإسلام، وأصل الأمة: الجماعة التي هي على مقصدٍ واحد، فجُعلت الشريعة أُمة واحدة؛ لاجتماع أهلها على مقصدٍ واحد.

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ أي: إلهكم وحدي، فأفردوني بالعبادة وحدي(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٤).

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٣).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(٣) انظر: «جامع البيان» (١٧/ ٨٥)، «معالم التنزيل» (٣/ ١٩١)، «الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ٢٩٦).

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

علّق العلاّمة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله بقوله: «إذا اتحد الدين وحصل الإيمان بالله ورسوله، وعبادة الله وحده؛ وخلع ما سواه من الأنداد والآلهة، حصلت الأخوة في الدين، ووجب إذا اتحد الدين وحصل الإيمان بالله ورسوله، وعبادة الله وحده لا شريك وخلع ما سواه من الأنداد والآلهة، حصلت الإخوة في الدين، ووجب من حقوق الإسلام والمسلمين بعضهم على بعض ما أوجبه الله ورسوله. وقصد الإصلاح بينهم واجب. لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

لكن مفهوم هذا أنَّ الأخوة تنتفي بانتفاء الإيمان، وقد صرّح الله بهذا المفهوم في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[2]، وقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] الآية، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾[5]، وهذا في القرآن كثير»[6].

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٧.
(٥) سورة التوبة من الآية: ١-١٢
(٦) «منهاج التأسيس والتقديس» (ص/ ٣٢).

وما أحسن ما قاله العلاَّمة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: « والحاصلُ أنَّ الرابطةَ الحقيقيَّةَ التي تُجمِّع المفترق وتُؤلِّف المختلف هي **رابطةُ لا إله إلا الله**، ألا ترى أن هذه الرابطةَ التي تجمعُ المجتمعَ الإسلاميَّ كلَّه كأنه جسدٌ واحدٌ، وتجعله كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً عطفت قلوبَ حملة العرش ومَن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1].

فقد أشار تعالى إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومَن حوله وبين بني آدم في الأرض حتى دعوا الله لهم هذا الدعاء الصالح العظيم، **إنما هي الإيمان بالله جلَّ وعلا.**

إلى أن قال رحمه الله: وبالجملة فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطةَ التي تربطُ أفرادَ أهل الأرض بعضهم ببعض وتربطُ بين أهل الأرض والسماء هي رابطةُ **لا إله إلا الله، فلا يجوز البتة النداءُ برابطةٍ غيرها!** »[2].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧-٩.

(٢) «أضواء البيان» (٣/ ٤٤٧، ٤٤٨) اختصره شيخنا الأستاذ الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ـ حفظه الله ـ في كتابه: « الحجُ وتهذيبُ النفوس ».

٧٦- التغليظ على من عبد الله تعالى في مكانٍ يعبدُ فيه غيره دليل على أهمية تحقيقه.

عدم قبول العبادة ولو كانت صحيحةً في أركانها وواجباتها في مكان يُعبد فيه غير الله دليلٌ على أهمية التوحيد ووجوب تحقيقه.

فقد ثبت من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً بِبُوَانَةَ، فسأل النبي ﷺ، فقال: «**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟**» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**أوفِ بنذرك؛ فإنه لا وفاء بنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»(١).

ولذا بوبَّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على هذا الحديث في كتابه التوحيد: [**بابٌ لا يُذبحُ لله بمكانٍ يُذبحُ فيه لغير الله**]. ومثله قوله رحمه الله أيضاً: [باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجلٍ صالحٍ فكيف إذا عبده؟!].

وإن كان هذا داخلٌ في ما مرَّ من سدِّ باب الذرائع الموصلة للشرك لكن جئتُ بها هنا لتأكيد أهمية التوحيد في العبادات قولاً وفعلاً ومكاناً وزماناً.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر، برقم:(٣٣١٣)، وهو حديثٌ «صحيح»؛ كما نصَّ على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٨٠)، وأصله في «الصحيحين».

٧٧- الميلُ بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى بتحريفٍ أو تعطيلٍ أو تمثيلٍ أو تكييفٍ ميلٌ عن التوحيد وإلحادٌ فيها.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(٢).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: « فالعلم بأسمائه وصفاته أشرف العلوم »(٣).

وقال أيضاً رحمه الله: « والعلم النافع ما عرَّف العبدَ بربه، ودلَّه عليه حتى عرفه ووحَّده وأنِسَ به واستحى من قربه وعَبَده كأنه يراه »(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنّكاح في الجنَّة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته، أعظم قدراً من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال لأُبي بن كعب رضي الله عنه: « **أتدري أي آية**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) سورة طه، الآية: ٨.

(٣) «أحكام القرآن»، لابن العربي (٢/ ٩٩٣).

(٤) «فضل علم السلف على علم الخلف» (ص/ ٦٧).

في كتاب الله أعظم؟ قال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾(١) فضرب بيده في صدره، وقال: **ليهنك العلم أبا المنذر »**(٢).

وأفضل سورةٍ سورةُ أمِّ القرآن، كما ثبت ذلك في حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه في الصحيح(٣)، قال له النبي ﷺ إنه لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، وهي سبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته، وفيه من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد.

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ من غير وجه أن: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن، وثبت في الصحيح أنه بشَّر الذي كان يقرأها ويقول: إني لأحبها لأنها صفة الرحمن: **بأن الله يحبه، فبيَّن أن الله يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه وتعالى وهذا بابٌ واسع »**(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم: (١٨٨٥).

(٣) حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه الذي في الصحيح لفظه: أن النبي ﷺ قال له: «لأعلمنك سورة هي أعظم السُّور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ... الحديث، برقم: (٤٤٧٤). أما اللفظ الذي أثبته شيخ الإسلام فهو في «مسند الإمام أحمد» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١٤/ ٣١٠)، برقم: (٨٦٨٢)، «وإسنادهُ صحيح».

(٤)«درء التعارض» (٥/ ٣١٠-٣١٢).

ومن الميل بأسماء الله وصفاته الإلحاد فيها وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أنواعاً منه فقال: « أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعُزَّى من العزيز.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له: أباً، وتسمية الفلاسفة له: موجباً بذاته.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني.

خامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً »[١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٢].

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ٢٩٨-٢٩٩) باختصار منه، وفي هذا الكتاب النافع الماتع عشرون قاعدة وفائدة في الأسماء والصفات يحسنُ بطالب العلم أن يطالعها ويضبطها.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

٧٨- التوحيد أعظم معروف يُدعى إليه، كما أن الشرك أنكر المنكر الذي يُنهى عنه.

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

و«**لا إله إلا الله** هو أعظم معروف، وأنكر المنكر هو **الشرك بالله تعالى**»(٣)؛ وذلك لما يترتب على الدعوة للتوحيد وإنكار الشرك من مصالح عظيمة كما مرَّ معنا ذكر بعضها، ويجمع هاذين الأصلين العظيمين قولُ الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾(٤).

---

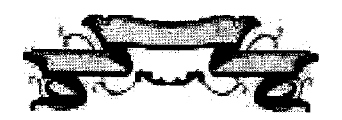
(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) أورده الإمام الطبري عن ابن عباس ﷺ. انظر: «جامع البيان» (٤/ ٤٥) بتصرّف يسير.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

قال العلاَّمة محمد بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله: « **وأعظم المعروف:** التوحيد والعمل به، ومعرفته واعتقاده، والقيام بواجباته وأركانه، والدعوة إليه، وإرشاد الناس إلى ذلك، والإنكار على من أعرض عنه، أو جحده أو دان بضده وهو أعظم المنكر، أي الشرك والكفر، وصرف عبادة الله لغير الله؛ »[(١)].



---

(١) «الدُرر السنية» (١٤/ ٣١١).

٧٩- كلمة التوحيد هي « العروة الوثقى ».

قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

روى الإمام الطبري رحمه الله عن سعيد بن جبير رحمه الله قوله: ﴿ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ قال: « لا إله إلا الله، وعن الضحاك مثله »[2].

وقال رحمه الله أيضاً في تمام الآية: « والله سميع إيمانَ المؤمن بالله وحده، الكافرِ بالطاغوت عند إقراره بوحدانية الله، وتبرئه من الأنداد والأوثان التي تُعبد من دون الله، عليم بما عزم عليه من توحيد الله وإخلاص ربوبيته قلبُه، وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت ضميره، وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سر، ولا يخفى عليه أمر، حتى يجازي كلاً يوم القيامة بما نطق به لسانه، وأضمرته نفسه، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً »[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٢) «جامع البيان» (٣/ ٢٠).

(٣) «المصدر السابق» (٣/ ٢١).

٨٠- الاعتصامُ بالتوحيدِ أساسُ كلِّ خير.

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أي بدَّلوا الرياء بالإخلاص، فينفعهم العمل الصالح وإن قل»[(٢)].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالشكر: التوحيد»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[(٤)].

أي: «جمعوا بين مقام العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم»[(٥)].

ومما يدلُ على أن الاعتصام لا يكون إلا على أساس توحيد الله عز وجل، وأنَّ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٦-١٤٧.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٤٢).

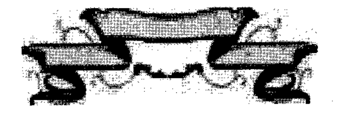
(٣) «زاد المسير» (٢/ ٢٣٦).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٧٥.

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٨١).

الأركان لا تنبني إلا عليه قول رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً و يكره لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.... »، وقد سبق ذكره[1].

فالتوحيد هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم الذي من تمسك به عُصم ومن حاد عنه قُصم.



(١) انظر ما تقدم في: «رضي الله ﷻ التوحيد لنا ديناً، فلا يجوز أن نبتغي غيره».

٨١- كلمة التوحيد هي «العهد» المذكور في كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾[١].

روى الإمام الطبري رحمه الله: « عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(العهد)**: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله »[٢].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: « **والعهد هاهنا**: توحيد الله والإيمان به»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾[٤].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: أم قال: لا إله إلا الله، فأرحمه بها؟»[٥].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٨٧.

(٢) «جامع البيان» (١٦/ ١٢٨)، وانظر: «معالم التنزيل» (٣/ ١٠٨)، «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٢٦٥).

(٣) «زاد المسير» (٥/ ٢٦٤).

(٤) سورة مريم، الآية: ٧٨.

(٥) «زاد المسير» (٥/ ٢٦١).

٨٢- كلمة التوحيد هي «الحُسنى».

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[١].

نقل ابن الجوزي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك، أن الحسنى في الآية هي: « **لا إله إلا الله** »[٢].

وقال العلاَّمة السِّعْدي رحمه الله: « أي: صدَّق بـ (لا إله إلا الله) وما دلت عليه، من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي »[٣].

---

(١) سورة الليل، الآية: ٥-٧.

(٢) «زاد المسير» (٩/ ١٤٩).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص/ ٩٢٧).

٨٣- كلمة التوحيد هي «شهادة الحق».

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[(١)].

قال الإمام البغوي رحمه الله: « أراد بشهادة الحق قول: **لا إله إلا الله** كلمة التوحيد »[(٢)].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: « وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله، وهي كلمة الإخلاص، ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهذا مذهب الأكثرين »[(٣)].

---

(١) سورة الزخرف، الآية:٨٦.

(٢) «معالم التنزيل» (٤/ ١٠٩).

(٣) «زاد المسير» (٧/ ٣٣٤) بتصرف يسير، وانظر: «تيسير الكريم الرحمن» (ص/ ٧٧١).

٨٤- كلمة التوحيد «أفضل الأعمال وأكثرها مضاعفةً، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان».

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: « **من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرةٍ كانت له عَدْلَ عشرِ رِقابٍ، وكُتبت له مائة حسنةٍ، ومُحيت عنه مائة سيئةٍ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء إلا رجلٌ عَمِلَ أكثر منه** »[1].

ومن ذلك ما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كَتب الله له ألف ألف حسنةٍ ومحا عنه ألف ألف سيئةٍ وبنى له بيتاً في الجنَّة** »[2].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، برقم: (٦٤٠٢)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم: (٢٦٩١).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق، برقم: (٣٤٢٨)، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها، برقم: (٢٢٣٥)، والدارمي، كتاب الاستئذان، باب ما يقول إذا دخل السوق، والحاكم، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل، باب دعاء دخول السوق، برقم: (٢٠١٧)، وقد أورده المنذري في الترغيب والترهيب وقال: «إسناده متصلٌ حسن». (٢/ ٣٠٩)، برقم: (١٦٩٤)، وقد «حسَّنه» العلاَّمة الألباني أيضاً في تعليقه على «سنن الترمذي» و«ابن ماجه» و«الترغيب والترهيب».

٨٥- كلمة التوحيد هي « القول الثابت ».

قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

وقد جاء عن طاووس بن كيسان رحمه الله أنه قال: « ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: (لا إله إلا الله)، ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ في القبر »[2].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: « أي يثبتهم على الحق بالقول الثابت وهو شهادة أن لا إله إلا الله »[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٠٢).

(٣) «زاد المسير» (٧/ ٣٦١).

٨٦- كلمة التوحيد هي « كلمة التقوى ».

قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [(١)].

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « **إني لأَعلمُ كلمةً لا يقولها عبدٌ حقاً من قلْبِهِ إلا حُرِّم على النار** »، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنا أُحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ وأصحابَهُ، وهي كلمة التقوى التي ألاَصَ [(٢)] عليها نبيُّ الله ﷺ عمَّه أبا طالب عند الموتِ: **شهادةُ أن لا إله إلا الله** [(٣)].

ونقل الإمام الطبري رحمه الله عن عليٍ، وابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهم وعمرو بن ميمون، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، والضحاك، وعطاء الخرساني أنهم قالوا: « ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ هي: **لا إله إلا الله** » [(٤)].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

(٢) ألاَصَ: أي أداره عليها وراوَدَهُ فيها. النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٧٦).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٩٩)، برقم: (٤٤٧)، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٥١)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة». وقال محققوا المسند: «إسنادٌ قوي، عبد الوهَّاب الخفاف سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط، وروايته عنه في صحيح مسلم».

(٤) «جامع البيان» (٢٦/ ١٠٤-١٠٥)، «معالم التنزيل» (٤/ ١٨٩)، «زاد المسير» (٧/ ٤٤١)، «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٣٤٥)، «تيسير الكريم الرحمن» (ص/ ٧٩٥).

٨٧- كلمة التوحيد هي « منتهى الصواب وغايته ».

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[١].

وقد نَقل الإمام الطبري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره، قال: « إلا من أذن له الربّ بشهادة أن **لا إله إلا الله** وهي منتهى الصواب »[٢].

ونَقل رحمه الله ذلك أيضاً عن عِكرمة، وأبي صالح.

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٣٨.

(٢) «جامع البيان» (٣٠/ ٢٤).

٨٨- كلمة التوحيد هي « دعوة الحق ».

قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[١].

قال علي رضي الله عنه ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: « التوحيد »[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « هي: شهادة أن لا إله إلا الله »[٣].

فهو الحق سبحانه، والداعي إليه داعٍ للحق، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾[٤].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٢) «جامع البيان» (١٣/ ١٢٨).

(٣) «المصدر السابق نفسه»، وانظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٥٢٠)، «زاد المسير» (٤/ ٣١٧)، «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٤٥).

(٤) سورة النور، الآية: ٢٥.

٨٩- شهادة أن لا إله إلا الله هي «الدين الخالص».

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[1].

ساق الإمام الطبري رحمه الله بإسناده إلى قتادة رحمه الله قوله: «﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله»[2].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «يعني: الخالص من الشرك، وما سواه ليس بدينِ الله الذي أَمر به»[3].

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٢) «جامع البيان» (٢٣/ ١٩٠).

(٣) «زاد المسير» (٧/ ١٦١).

٩٠- كلمة التوحيد تُفَتَّحُ لها أبوب السماء حتى تُفْضي إلى عرش الرحمن جَلَّ جَلَالُهُ.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما قال عبدٌ لا إله إلا الله قطُّ مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء، حتى تُفْضي إلى العرش، ما اجتنبت الكبائر** »[(١)].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال أبو أُمامة: ما من عبدٍ يُهلل تهليلة فينهنهها[(٢)] شيء دون العرش »[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب دُعاء أم سلمة، برقم: (٣٥٩٠)، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه» ورواه النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب أفضل الذكر وأفضل الدعاء، برقم: (١٠٦٠١)، وقد عزاه المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٤٥٩) للحاكم ولم أجده في «مستدركه»، وقد «حسَّنه» العلاَّمة الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي».

(٢) النَّهْنَهَة: «الكف»، أي: «ما منعها ولا كفها عن الوصول إليه». مادة: نهنه. «لسان العرب» (١٤/ ٣١٢).

(٣) «كلمة الإخلاص» (٣/ ٧٩).

٩١- صاحب شهادة « لا إله إلا الله » ذو قلبٍ سليم.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: « يعني شهادة أن لا إله إلا الله »[2].

وقال الحسن رحمه الله: « سليمٌ من الشِّرك »[3].

كيف لا يكون صاحب التوحيد سليم القلب؟! والربُّ سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[5] فالجزاء من جنس العمل، فإنه قد سلَّم حق الله من النقص والضياع؛ فسلَّم اللهُ قلبه في الدنيا فهداه وما أغواه، وفي الآخرة أن نجَّاه وأحسنَ عُقباه وما أخزاه.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٨٣-٨٤.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٢٣).

(٣) «المصدر السابق نفسه».

(٤) سورة النمل، الآية: ٨٩.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

٩٢- الهداية للتوحيد هداية ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾[١].

قال الإمام الطبري رحمه الله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ «وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله»[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: « لا إله إلا الله»، وزاد ابن زيد رحمه الله « والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله »[٣].

وقد وصف الله تعالى التوحيد بأنه كلمة طيبة؛ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، كما سيأتي بيانه ـ بمشيئة الله تعالى ـ.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٤.

(٢) «جامع البيان» (١٧/ ١٣٦).

(٣) انظر: «جامع البيان» (١٧/ ١٣٦)، «معالم التنزيل» (٣/ ٢١٠)، «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٤٠٨).

٩٣- كلمة التوحيد هي « المثل الأعلى ».

قال الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[١].

ساق الإمام الطبري رحمه الله بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾: النار، و﴿الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾: **شهادة أن لا إله إلا الله** »[٢].

وقال قتادة رحمه الله: « **شهادة أن لا إله إلا الله** » وجاء عنه أيضاً: «هو الإخلاص والتوحيد »[٣].

(١) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٢) «جامع البيان» (١٤/ ١٢٤)، «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ١٠٦).

(٣) «جامع البيان» (١٤/ ١٢٤).

٩٤- لا يكون الدين قيماً إلا بتوحيد الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

قال الإمام الطبري رحمه الله: « ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ يقول: هذا الذي دعوتكما إليه من البراءة من عبادة ما سوى الله من الأوثان، وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار، هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه، والحق الذي لا شك فيه، ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته »[٢].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: « ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾: أي المستقيم، يشير إلى التوحيد »[٣].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[٤].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

(٢) «جامع البيان» (١٢/ ٢٢٠) وانظر: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣٩٠).

(٣) «زاد المسير» (٤/ ٢٢٦).

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.

قال الإمام البغوي رحمه الله: « أي إلى الطريقة التي هي أصوب، وقيل: الكلمة التي هي أعدل: وهي شهادة أن لا إله إلا الله »[(١)].

فلا إله إلا الله هي مفتاح كل خير وطريق إلى كل صواب، كما ذكر الإمام القرطبي رحمه الله عند هذه الآية، فقال « أي: الطريقةُ التي هي أسدُّ وأعدلُ وأصوبُ وهي توحيدُ الله والإيمانُ برسله»[(٢)].



(١) «معالم التنزيل» (٢/ ٦٧١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ١٩٧).

٩٥- تقرير التوحيد بالقَصَص القرآني.

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم كثيراً من القصص التي جرت بين الأنبياء وأقوامهم من المحادثات والمناظرات في أمر التوحيد.

وهذا الباب واسع جداً؛ وذلك لأن الغاية من إرسال الرسل كما مرَّ هي الدعوة إلى التوحيد، وإقامة البراهين الفطرية والعقلية والشرعية على ذلك.

فمن ذلك؛ ما ذكره الله تعالى عن أول رسول أرسله إلى أهل الأرض نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(١).

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾(٢).

وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾(٣).

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٧٥-٨٢.

(٣) سورة هود، الآية: ٥٠.

وقال تعالى عن صالح ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾(١).

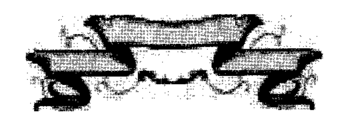
وضرب **لنا** ربُّ العزة في كتابه الكريم قصةً عظيمةً، تُبين أن العاقبة الحميدة، والحياة السعيدة، لا يبلغها العبد إلا بتوحيده لخالقه سبحانه وتعالى، كما أن الشقاوة والخسارة، لا يبلغها إلا بالإشراك به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ **لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا** ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا **وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ**

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾(١).

قال الإمام القرطبي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ : « أي يا ليتني عرفت نعم الله عليّ، وعرفت أنها كانت بقدرة الله ولم أكفر به. وهذا ندمٌ منه حين لا ينفعه الندم »(٢).

وما قصدتُ الحصر هنا وإنما أردتُ التمثيل، فقد ذكر الله سبحانه قصصاً أخرى لموحدين لم يكونوا رسلاً ولا أنبياء من ذلك قصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة لقمان مع ابنه، ومؤمن آل فرعون، وقصة آسيا امرأة فرعون، وغيرهم.



(١) سورة الكهف، الآية: ٣٢-٤٢

(٢)«الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٣٥٥).

٩٦- تقرير التوحيد بالأمثلة القرآنية.

ضرب الله تعالى أمثلةً عديدةً في القرآن الكريم ليُقرب ـ سبحانه وتعالى ـ المعاني للأذهان لطفاً منه وإحساناً ونصحاً للخلق، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾[١].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأُنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير، ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى ومزكية له فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سُوقِهِ، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته »[٢].

وقد خصَّ الله تعالى أمثلة التوحيد بمزيد عناية وإيضاح؛ إذ هو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب، ومن تلكم الأمثال ما يلي:-

أ- قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٣٠٦).

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾(١).

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « **الكلمة الطيبة** هي: شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تُثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عملٍ صالحٍ مرضي لله ثمرة هذه الكلمة.

ولا تزال هذه الشَّجرة تُثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها، واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها، فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه الله، ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل من سوى الله وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللا غير ناكبة عنها، ولا باغية سواها بدلاً، كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً، فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الرب تعالى»(٢).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٥-٢٦.

(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٢٢٥-٢٢٦) بتصرف يسير.

وأما الشجرة الخبيثة المعنية في الآية الكريمة فهي **شجرة الشرك**، لا أصل لها ثابت ولا فرع فاستؤصلت فما لها من قرار، ولقد علّق العلاّمة ابن القيم رحمه الله بكلامٍ نفيسٍ على آية استأصلت طرائق الشرك وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[1]، قال: « **فتأمل** كيف أخذت هذه الآية على المشركين مجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك، وسدَّ بها عليهم أبلغ سدٍّ وأحكمه، فإن العبد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وإلا فلو كان لا يرجو منه منفعة لم يتعلق قلبه به وحينئذٍ فلا بدَّ أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينفع بها عابده أو شريكاً لمالكها، أو ظهيراً أو وزيراً أو معاوناً له، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده، فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السماوات والأرض، فقد يقول المشرك: هي شريكة المالك الحق، فنفى شركتها له، فيقول المشرك: قد يكون ظهيراً أو وزيراً أو معاوناً، فقال: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم، وأخبر أنه لا يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه »[2].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٢.

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة»، للموصلي (١/ ١٧٩-١٨٠).

ب- وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًاۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

قال مجاهد رحمه الله: « ضَرب الله هذا المثل والمثل الآخر بعده لنفسه وللآلهة التي من دونه »[2].

جـ- وقال الله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[3].

قال الإمام الطبري رحمه الله: « فهكذا مثل المشرك بالله بُعده من ربه، ومن إصابته الحق، كبُعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض، أو كهلاك من اختطفه الطير منهم في الهواء »[4].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٣-٧٦.

(٢) «جامع البيان» (١٤/ ١٤٩).

(٣) سورة الحج، الآية: ٣١.

(٤) «جامع البيان» (١٧/ ١٥٥).

د- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: «حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب، ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف ما هو أكبر منه؟! ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خَلق الذُباب الذي هو من أضعف الحيوانات، ولا على الانتصار منه، واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟!»[2].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٣.

(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ٢٣٥-٢٣٦).

هـ- ويقول تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئاً، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء »[2].

و- وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « بيَّن سبحانه بالمثل الذي ضربه لهم أنه لا ينبغي أن يجعل مملوكه شريكه فقال: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ يخاف أحدكم مملوكه كما يخاف بعضكم بعضاً، فإذا كان أحدكم لا يرضى أن يكون

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٢٧٩).

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٨.

مملوكه شريكه فكيف ترضونه لأنفسكم؟ »[١].

ز- وقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[٢].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « فتضمن هذا المثل ناعقاً أي مصوتاً بالغنم وغيرها منعوق به وهو الدواب، فقيل الناعق العابد وهو الداعي للصنم، والصنم هو المدعو، وأن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بها لا يسمعه»[٣].

حـ- وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٤].

وقد ساق الطبري رحمه الله بإسناده إلى ابن جريج رحمه الله أنه قال: « ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ قال: بلا إله إلا الله، يجعل لها في صدره متسعاً، ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ وقال رحمه الله أيضاً: يجعل صدره ضيقاً حرجاً بلا إله إلا الله، حتى لا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٥٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

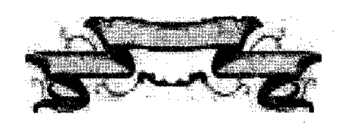
(٣) «إعلام الموقعين» (١/ ٢٣٠).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

يستطيع أن تدخله، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه»[(١)].

وبيَّن سبحانه وتعالى الفارق الجلي الواضح بين الموحد والمشرك، وأنهم لا يستوون بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وضرب الله مثل المؤمن الحي والبصير والسميع والنور والظل وضرب مثل الكافر بالميت والأعمى والأصم والظلمة والحرور »[(٣)].



---

(١) «جامع البيان» (٨/ ٢٧-٣٠).

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٥٤).

٩٧- وجوب المُصَارَمة[١] والبراءة ممن لا يُقر بتوحيد الله.

قال الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[٢].

قال الإمام الطبري رحمه الله عن الآية: « إني برئت من ملة من لا يصدِّق بالله، ويقرّ بالوحدانية، واتبعت دين آبائي لا دين أهل الشرك، ما جاز لنا أن نجعل لله شريكاً في عبادته وطاعته، بل الذي علينا إفراده بالألوهة والعبادة، وذلك من فضل الله الذي تفضل به علينا، وذلك أيضاً من فضل الله على الناس، إذ أرسلنا إليهم دعاةً إلى توحيده وطاعته »[٣].

وقال الله تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[٤].

---

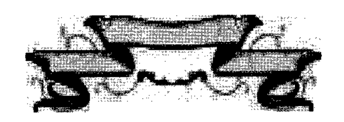
(١) أي: «الهجران والمقاطعة». «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٤٨) بتصرف يسير.

(٢) سورة يوسف، الآية:٣٨-٣٩.

(٣) «جامع البيان» (١٢/ ٢١٧-٢١٨) باختصار يسير، وانظر: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣٨٩)، «معالم التنزيل» (٢/ ٤٦٢).

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، أي: بدينكم وطريقتكم، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾، وقد شُرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعون ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان »[1].



(١) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٨٧).

٩٨- أهل التوحيد هم أحق الناس بحوض النبي ﷺ.

فقد ثبت من حديث أسماء رضي الله عنها قالت: عن النبي ﷺ أنه قال: « **إني على الحوض، أنتظر من يَرِدُ عليَّ منكم، فوالله! ليقتطعن دوني رجالٌ، فلأقولن: أي رب! مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم** »[(١)].

وفي رواية: « **إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى**[(٢)] »[(٣)].

وفي رواية أنه ﷺ قال: « **سُحقاً سُحقاً لمن بدل بعدي!** »[(٤)].

وأهل التوحيد لم يبدلوا ولم يغيروا وكان شعارهم ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا ﴾[(٥)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾، برقم: (٧٠٤٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم: (٥٩٧٣).

(٢) القَهْقَرَى: هو المشيُ إلى الخلف من غير أن يُعيد وجهه إلى جهة مشية. لسان العرب (١١/ ٣٣٥).

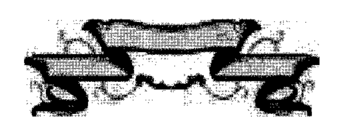
(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم: (٦٥٨٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾، برقم: (٧٠٥٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفات ه، برقم: (٥٩٦٩).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله:« **إن ورود الناس الحوض وشربهم منه يوم** العطش الأكبر بحسب ورودهم سنة رسول ﷺ وشربهم منها فمن وردها في هذه الدار وشرب منها وتضلع ورد هناك حوضه وشرب منه وتضلع »[(١)].

قال العلاَّمة السفاريني رحمه الله مبيناً **أن كل مُبَدِّلٍ يُذاد عن الحوض بقوله:** «والحاصل أن من الذين يذادون عن الحوض جنس من المفترين على الله وعلى رسوله ﷺ من المُحْدِثين في الدين من الروافض والخوارج وسائر أصحاب الأهواء والبدع المضلة، وكذلك المسرفون من الظَلَمة المفُرطون في الظلم والجور وطمس الحق كذلك المتهوكون في ارتكاب المناهي والمعلنون في اقتراف المعاصي »[(٢)].



---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ٨٥) للعلاَّمة ابن القيم رحمه الله كلامٌ نفيس في هذا الموطن من كتابه أوضح فيه **(فهم المعاد وأحوال الناس يوم القيامة)** وأن أحوالهم فيه مثل أحوالهم في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل.

(٢) «لوامع الأنوار» (٢/ ١٩٧).

٩٩- شفاعة أهل التوحيد للميت منهم.

مرَّ معنا أن الشفاعة لها ركنان أساسيان وهما إذن الله تعالى للشافع، ورضاه عن المشفوع، ولا يرضى ـ سبحانه ـ إلا على أهل التوحيد كما تقدم تقريره[١].

وقد ثبت أيضاً ما يدلُ على شفاعة أهل التوحيد للميت منهم، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه**»[٢].

---

(١) انظر ما تقدم في: «**صاحب التوحيد أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ**».

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، برقم: (٩٤٨).

١٠٠- الموت على التوحيد علامةٌ على حسن الخاتمة.

لا شك أن الموت على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا ﷺ لهو من أعظم النعم وأجلها، والموفق من وفقه الله، والمخذول من حُرمها.

قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾(١).

فقد ثبت عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: « **من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنَّة** »(٢).

قال العلاَّمة ابن أبي العز رحمه الله: « فالتوحيد هو أول ما يُدْخَلُ به الإسلام، وآخر ما يُخْرَجُ به من الدنيا »(٣).

وجاء أن عمر رضي الله عنه مرَّ عليَّ طلحة بن عبيد الله بعد وفاة النبي ﷺ، فقال: ما لك كئيباً؟ أساءتك إمرَةُ ابن عمك؟ قال: لا، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إني لأعلمُ كلمةً لا يقولها أحدٌ عند موتهِ إلا كانت نوراً لصحيفته، وإن جسدهُ وروحَهُ ليجدانِ لها رَوْحاً عند الموت » فلم أسألهُ حتى تُوفِّيَ، قال: أنا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب النعاس في الصلاة، برقم: (١٣١٦)، و«صَحَّحه» العلاَّمة الألباني في «سنن أبي داود» (ص/ ٤٧٨).

(٣) «شرح الطحاوية» (١/ ٢٣).

أعلمها هي التي أراد عمَّه عليها، ولو عَلِمَ أن شيئاً أنجى له منها لأمره »[١].

وفي رواية: « **لا يقولها عبدٌ عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفَّس الله عنه كربته** »، قال: فقال عمر: « إني لأعلم ما هي! قال: تعلم كلمةً أعظمَ من كلمةٍ أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله؟ قال طلحة: صدقتَ، هي والله هي»[٢].

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: « **لشهادة أن لا إله إلا الله عند الموت تأثير** عظيم في تكفير السيئات وإحباطها؛ لأنها شهادة من عبدٍ موقن بها عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسه المتمردة، وانقادت بعد إبائها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها، وذلَّت بعد عزها، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها، واستخذَتْ بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أذَّل ما كانت له، وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرَّد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه؛ فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه؛ فوجَّه العبد وجهَهُ بكليته إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه؛ فاستسلم

---

(١) رواه ابن ماجة، كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، برقم: (٣٧٩٥)، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في «سنن ابن ماجه» (ص/ ٦٢٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٨-٩)، برقم: (١٣٨٤، ١٣٨٦)، والحاكم (١/ ٣٥٠، ٣٥١)، وقال: «صحيحٌ على شرطيهما»، «ووافقه الذهبي».

وحده ظاهراً وباطناً، واستوى سره وعلانيته فقال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه، وشارف القدوم على ربه، وخمدت نيران شهوته، وامتلأ قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة صادقه خالصة، وافق ظاهرها باطنها، وسرُّها علانيتها.

فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في أيام صحته، لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفرَّ إلى الله من الناس، وأَنِسَ به دون ما سواه، لكنه شهد بها بقلبٍ مشحونٍ بالشهوات وحبِّ الحياة وأسبابها، ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله.

فلو تجَرَدَتْ كتجردها عند الموت، لكان لها نبأ آخر، وعيش آخر سوى عيشها البهيمي، والله المستعان »[(١)].

ومن اللطائف التي تُذكر أنَّ أبا زرعة الرازي رحمه الله لما حضرته الوفاة كان أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، و المنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء عنده وأرادوا تذكيره بقوله ﷺ: « **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله** »[(٢)]، فاستحوا من أبي زرعة وهابوا أن يلقنوه، فقالوا تعالوا نذكر الحديث، فذكروا أسانيدهم ولم يذكروا الحديث ثم سكتوا، فنطق أبو زرعة قائلاً: حدثنا بُندار، قال: حدثنا أبو

---

(١) «الفوائد» (ص/ ٨٦-٨٧) باختصار.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى: لا إله إلا الله، برقم: (٩١٦).

عاصم، قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله** » وخرجت روحه [١].

تنبيه! إن تلقين الميت كما هو معلوم إنما يكون حال الاحتضار لا بعد الموت، وذِكر الموت في الحديث للمجاورة والمقاربة؛ كما هو في قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾، ولا شك أن اليتيم لا يطلق عليه لفظ يتيم إلا ما كان قبل الاحتلام، لقول النبي ﷺ: «**لا يُتم بعد احتلام**»[٢]، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**شهرا عيدٍ لا ينقصان**»[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أُطلق على رمضان أنه شهر عيد لقربه من العيد، أو لكون هلال العيد ربما رؤي في اليوم الأخير من رمضان، قاله الأثرم، والأولى الأول[٤]. ونظيره قوله ﷺ: «**المغربُ وتر النهار**»، وصلاة

---

(١) «تهذيب الكمال» (١٩/ ١٠١)، «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٨٥).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء: متى ينقطع اليُتم؟، برقم: (٢٨٧٢)، و الطبراني في «الكبير» (٣/ ٥٠٠)، وقال: الهيثمي في الزوائد: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات»، و«صحَّحه» العلاَّمة الألباني في «الصحيحة» برقم: (٣١٨٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب شهرا عيد لا ينقصان، برقم: (١٩١٢)، ومسلم، كتاب الصيام، باب بيان معنى قوله ﷺ: «شهرا عيدٍ لا ينقصان».

(٤) أي: أنه أُطلق عليه لقربه من العيد.

المغرب ليلية جهرية، وأطلق كونها وتر النهار لقربها منه»[(١)].

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا وباسمك الأعظم أن تحينا وأهلنا ومن له حقٌّ علينا على التوحيد والسُّنَّة، وأن تميتنا وإياهم عليهما، وأن تجعل آخر كلامنا من الدنيا «لا إله إلا الله»، اللهم ارحم واغفر لموتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك وأرحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه.



(١) «فتح الباري» (٤/ ١٥١).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم وعلى آله والصحب أجمعين، وبعد هذا العرض الموجز لما تيسر جمعه حسب علمي القاصر وهمتي الضعيفة أقول وبالله أستعين:

«**يجب على من عرف حقيقة التوحيد** الذي بعث الله به رسله، وأنكر ما ينافيه من الشرك، وعادى في الله ووالى فيه أن يشكر الله على هذه النعمة، خصوصاً إن تدبر ما في القرآن، من بيان ما جرى من الأمم المكذبة للرسل، وما جرى في هذه الأمة مما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعه، من الشرك والضلال، وما جرى على النبيﷺ في ابتداء دعوته.

فيا لها نعمة ما أجلها لمن عرف قدرها، ورعاها حق رعايتها، وأحبها وسُر بها، ولزم العمل بها وذكرها. ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[1]»[2].

«**فمن عرف الإيمان والتوحيد**، وعرف حدودهما الجامعة المانعة انفتح له بابٌ عظيمٌ في الفهم عن الله ورسوله لا يفهمه إلا خواص العارفين فتأمله **يطلعك الله على أسرارٍ غفل عنها الأكثرون**»[3].

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) «الدُرر السَنية» من كلام العلاَّمة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ (١٢/ ٣١٤).

(٣) «مصباح الظلام» عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، (ص/ ١٣٦).

ولقد أحسن من قال:

أيهـــا المغتـــدي ليطلـــب علـــماً   كـل علـم عبـدٌ لعلـم الرســول

تطلـــب الفـــرع كـــي تـــصحح أصـــلاً   كيف أغفلت علم أصـل الأصـول[١]

وقديماً قيل: «من فارق الدليل ضلَّ السبيل، ولا دليل إلّا بما جاء به الرسول»[٢].

اللهم ربنا وسيدنا وخالقنا نتوسل إليك بتوحيدنا لك سبحانك لا شريك لك ولا ربَّ لنا سواك، وبحبنا وإتباعنا لرسولنا الكريم ﷺ أن توفقنا لكل خير، وترحمنا، وتغفر لنا، ووالدينا، ومشايخنا، وأهلنا، وذريتنا، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٣]، هذا وما كان من إصابة فمن الله وحده، وإن كانت الأخرى فمني والشيطان والله ورسوله منه بريئان.

فهذا جهد المقلّ الضعيف، ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[٤]، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) «شرح الطحاوية» (١/ ١٨).

(٢) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم، (١/ ٣٠٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٤) سورة هود، الآية: ٨٨.

فهرس الآيات القرآنية — الصفحة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية — الصفحة

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية	الصفحة

فهرس الأحاديث النبوية	الصفحة

فهرس الأحاديث النبوية	الصفحة

فهرس الأحاديث النبوية	الصفحة

فهرس الأحاديث النبوية	الصفحة

فهرس الأحاديث النبوية	الصفحة

فهرس الأحاديث النبوية	الصفحة
اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك	١٠٥
ما صُدِّقَ نبيٌّ من الأنبياء ما صُدِّقْتُ	١٢٥
ما قال عبدٌ لا إله إلا الله قط مخلصاً	٢٣٦
ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله	٣٠، ٦٨
ما من رجلٍ مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون	٢٥٧
مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير	٣٣
المغرب وتر النهار	٢٦١
مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	١٣٢
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	١٤٢
من توضأ فأحسن الوضوء ثم يقول	٢١١
من حجَّ لله فلم يرفث ولم يفسق	١٩١
من حلف بغير الله فقد أشرك	٢٠١
من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى	٧٦
من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله	٢٣٠
من ردته الطيرة من حاجةٍ فقد أشرك	٧٦
من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٦٦
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	١٤٢
من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله	١٨٥

فهرس الأحاديث النبوية	الصفحة
من قال حين يسمع النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامة	١٨٦
من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة	٦٦
من قال لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة	٢٨
من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من دهره	٧٠
من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٢٣٠
من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله	٣٤
من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ	٧٢
من قتل منَّا دخل الجنة، ومن عاش منَّا ملك رقابكم	١٥٧
من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة	١١٠
من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة	٨١، ٢٥٨
من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة	٦٦
من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة	٢٧
النجوم آمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد	١٦٩
نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً بِبُوَانَةَ	٢١٨
هل تدرون ماذا قال ربكم؟	١٦٦
والله ليبعثنه الله له عينان يبصر بهما ولسان	١٩٥
وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض	١٨٨
يُؤتى يوم القيامة بالحَجر الأسود	١٩٤

فهرس الأحاديث النبوية	الصفحة
يا أبا المنذر! أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟	١١٠
يا أبا بكر! للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل	١٢٠
يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا (قدسي)	٧١
يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟	٩٥
يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله	٩٧
يا رويفع لعل الحياة ستطول بك	١١٧
يا عم قل لا إله إلا الله	١٢١
يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك	٢٠٤
يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟	١٥، ٦٣
يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك	١٢١
يُدرس الإسلام كما يُدرس وشيُ الثوب	٦٩
يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة	٧١
يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة	٣٧
يُقال للرجل من أهل النار يوم القيامة	٣٧

المصادر والمراجع

❁ القرآن الكريم: «برواية حفص عن عاصم».

١. الإبانة الصغرى، لأبن بطة العكبري، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، ط. الأولى، عام ١٤٢٣هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٢. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة العكبري، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، ط. الثانية، عام ١٤١٥هـ، دار الراية، الرياض.

٣. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تعليق: مصطفى البغا، ط. الأولى، عام ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، بيروت.

٤. اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، تحقيق: د. عواد عبد الله المعتق، ط. الثالثة، عام ١٤١٩هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

٥. الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط. الأولى، عام ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦. أحكام القرآن، لابن العربي، عام ١٣٨٧هـ، ط. عيسي البابي الحلبي.

٧. اختارات شيخ الإسلام ابن تيمية، للحافظ ابن عبد الهادي، ط. الأولى، عام ١٤٢٤هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

٨. إرواء الغليل، للألباني، ط. الثانية، عام ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي بيروت.

٩. أسباب هلاك الأمم السالفة، سعيد محمد بابا سيلا، سلسلة إصدارات الحكمة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، دار ابن الجوزي.

١٠. أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، عام ١٤١٥هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١١. أعلام الحجاز، محمد بن علي المغربي، ط. الأولى، عام ١٤١٠هـ، مطبعة مدني.

١٢. إغاثة اللهفان، لابن القيم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط. الأولى، عام ١٤٢٤هـ، ابن الجوزي، الدمام.

١٣. الاقتصاد في الاعتقاد، تقي الدين عبد الغني المقدسي، تحقيق: أحمد عطية الغامدي، ط.الثانية، عام ١٤٢٢هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية.

١٤. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل، ط. السادسة، عام ١٤١٩هـ، دار العاصمة، الرياض.

١٥. إكمال المُعْلِم، بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: يحي إسماعيل،ط. الأولى، عام ٤١٩هـ، دار الوفاء مصر.

١٦. الأمكنة والمياة والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار، لأبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الإسكندراني، تحقيق: حمد الجاسر، ط. الأولى، ١٤٢٥هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ومركز الملك فيصل للبحوث، الرياض.

١٧. الإيمان، لابن مندة، تحقيق: د. على ناصر فقيهي، ط. الثالثة، عام ١٤٠٧هـ، دار الرسالة، بيروت.

١٨. بدائع الفوائد، لابن القيم، تحقيق: علي بن محمد العمران، ط. الأولى، عام ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

١٩. بغية الطلب في تاريخ حلب، لكمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تحقيق: سهيل زكار، ط. الأولى، دار الفكر.

٢٠. تجريد التوحيد المفيد، أحمد بن علي المقريزي الشافعي، تحقيق: علي بن محمد العمران، ط. الأولى، عام ١٤٢٤هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

٢١. تحفة الودود في أحكام المولود، لابن القيم، تحقيق: عبد المنعم العاني، ط. الأولى، عام ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٢. تحقيق كلمة الإخلاص، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طلعت الحلواني، ط. الأولى، عام ١٤٢٣هـ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، مصر.
٢٣. التدمرية، لابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، ط. الخامسة، عام ١٤١٩هـ، مكتبة العبيكان، الرياض.
٢٤. الترغيب والترهيب (صحيحه وضعيفه)، المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط. الأولى، عام ١٤٢١هـ، دار المعارف، الرياض.
٢٥. تطهير الاعتقاد، للصنعاني، تحقيق وتعليق: عبد المحسن بن حمد العبَّاد البدر، ط. الأولى، عام ١٤٢٤هـ، مطبعة سفير، الرياض.
٢٦. التعليقات المختصرة على متن الطحاوية، تأليف: صالح بن فوزان الفوزان، ط. الأولى، عام ١٤٢٢هـ، دار العاصمة، الرياض.
٢٧. تغليق التعليق، لابن حجر، تحقيق: سعيد القزقي، ط. الثانية، عام ١٤٢٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تحقيق: إحياء التراث العربي، تقديم: محمد عبد الرحمن مرعشلي، ط. الأولى، عام ١٤١٧هـ، مكتبة دار إحياء التراث العربي. بيروت.
٢٩. تفسير سورة الفاتحة، حماد الأنصاري، ط. الأولى، عام ١٤٢٤هـ، مكتبة الفرقان، الإمارات.
٣٠. تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق: أبي الأشبال الباكستاني، ط. الأولى، عام ١٤١٦هـ، دار العاصمة، الرياض.
٣١. تلبيس إبليس، لابن الجوزي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

٣٢. التلخيص الحبير، لابن حجر، تعليق وتنسيق: عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٣٣. تهذيب السنن، لابن القيم، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط. الثانية، عام ١٣٨٩هـ، المكتبة السلفية، المدينة النبوية.
٣٤. تهذيب الكمال، للحافظ المزي، تحقيق: بشار معروف، ط. الأولى، عام ١٤٢٢هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٥. التوحيد، لابن مندة، تحقيق: د. علي بن ناصر الفقيهي، ط.الثانية. عام ١٤١٤هـ، مكتبة الغرباء، المدينة النبوية.
٣٦. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: أسامة عطايا، ط. الأولى، عام ١٤٢٨هـ، دار الصميعي، الرياض.
٣٧. تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط. الأولى، عام ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٨. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط. الرابعة، عام ١٤٢٢هـ.
٣٩. جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للحافظ العلائي، تحقيق: حمدي السلفي، ط. الأولى، ١٣٩٨هـ، الدار العربية للطباعة، العراق.
٤٠. الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: مجموعة من أهل العلم، ط. الأولى، عام ١٤٢١هـ، الناشر الدار السلفية، الهند.
٤١. الجواب الكافي، لابن القيم، تحقيق: علي حسن عبد الحميد الحلبي، ط. الأولى، عام ١٤١٦هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.
٤٢. حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، ط. الأولى، دار الفكر، بيروت.

٤٣. دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث، لعبد الله بن عبد الرحمن البابطين النجدي الحنبلي، تحقيق: د. عبد السلام بن برجس العبدالكريم، ط. الأولى، عام ١٤٠٦هـ، مطابع الأشعاع، الرياض.
٤٤. الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد بن علي الشوكاني، ط. الأولى، مكتبة الصحابة، الكويت.
٤٥. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٤٦. الدرر السنية، في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم الحنبلي.
٤٧. الدعوة إلى الله، محمد تقي الدين الهلالي، ط. الأولى، عام ١٤٢٤هـ، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة.
٤٨. دقائق التفسير، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، ط. الثانية، عام ١٤٠٤هـ، مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
٤٩. الدين الخالص، صديق حسن خان، ط. الأولى، مكتبة دار التراث، القاهرة.
٥٠. ديوان أبي العتاهية، ط. الأولى، عام ١٣٨٤هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.
٥١. ديوان المتنبي، منشور مع شرحه العرف الطيب لليازجي، ط. الأولى، عام ١٤٠٤هـ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٥٢. رجال حول الملك عبد العزيز، عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، تأليف: د. عبد الله بن سعيد أبو راس، ط. الأولى، عام ١٤١٦هـ.

٥٣. الرد على الجهمية، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، ط. الأولى، عام ١٤٢٩هـ، دار البخاري، قطر.
٥٤. الرد على شبهات المستغيثين بغير الله لابن عيسى، (الجامع الفريد)، ط. الرابعة، عام ١٤٢٠هـ، شركة الجميح.
٥٥. الرسالة الوافية، عثمان بن سعيد أبو عمر الداني، تحقيق: دغش ابن شبيب العجمي، ط. الأولى، عام ١٤٢١هـ، دار الإمام أحمد، الكويت.
٥٦. روضة العقلاء، لابن حبان، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط. الأولى، عام ١٣٩٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٧. زاد المسير، لابن الجوزي، ط.الرابعة، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
٥٨. زاد المعاد، لابن القيم، تحقيق: شعيب و عبد القادر الأرنؤوط، ط. الأولى، عام ١٣٩٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
٥٩. سبيل الرشاد، محمد تقي الدين الهلالي، ط. الأولى، عام ١٤٠٧هـ، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، المغرب، الرباط.
٦٠. السلسلة الصحيحة، للألباني، عام ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.
٦١. السلسلة الضعيفة، للألباني، ط. الثانية، عام ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف، الرياض.
٦٢. سنن ابن ماجه، للألباني، اعتناء مشهور حسن سلمان، ط. الأولى، مكتبة المعارف، الرياض.
٦٣. سنن أبي داود، للألباني، اعتناء مشهور حسن سلمان، ط. الأولى، مكتبة المعارف، الرياض.

٦٤. سنن الترمذي، للألباني، اعتناء مشهور حسن سلمان، ط. الأولى، مكتبة المعارف، الرياض.

٦٥. السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم، ط. الأولى، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٦٦. سنن النسائي، للألباني، اعتناء مشهور حسن سلمان، ط. الأولى، مكتبة المعارف، الرياض.

٦٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: أحمد ابن سعد الغامدي، ط. الخامسة، عام ١٤١٨هـ دار طيبة للنشر، الرياض.

٦٨. شرح سنن ابن ماجه، للإمام السندي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط. الثانية، عام ١٤١٨هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٦٩. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، ط. الثالثة عشرة، ١٤١٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٧٠. شرح كشف الشبهات من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمعه ورتبه محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط. الأولى، عام ١٤١٩هـ.

٧١. الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي، تحقيق: أبي عبد الرحمن محمود، ط. الأولى، عام ١٤٢٢هـ، دار الراية، الرياض.

٧٢. صحيح البخاري، ط. الثانية، عام ١٤١٩هـ، دار السلام، الرياض.

٧٣. صحيح الجامع، للسيوطي، تحقيق: الألباني، ط. الثالثة، عام ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٧٤. صحيح مسلم، ط. الأولى، عام ١٤١٩هـ، دار السلام، الرياض.
٧٥. العبودية، لابن تيمية، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، ط.الثانية، عام ١٤١٩هـ، دار الأصالة، مصر.
٧٦. العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، ابن حجر آل بوطامي، ط. الأولى، عام ١٩٩٤هـ، مطابع علي بن علي.
٧٧. عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها، محمد بن عبد الرحمن الخميِّس، ط. الأولى، عام ١٤١٩هـ، مطابع دارة الملك عبد العزيز، الرياض.
٧٨. عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن عبد الله بن بشر، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ط. الرابعة، ١٤٠٢هـ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.
٧٩. فتح الباري، لابن حجر، تحقيق: فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، ط. الثانية، عام ١٤٠٧هـ، دار الريان، القاهرة.
٨٠. فتح القدير، للشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط. الثانية، عام ١٤١٨هـ، دار الوفاء، الرياض.
٨١. فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب، تحقيق: يحي الغزاوي، ط. الأولى، عام ١٤٠٣هـ، دار البشائر، بيروت.
٨٢. الفقه الأكبر، أبي حنيفة النعمان، عام ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٨٣. فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ط. الأولى، عام ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
٨٤. القاضي العدل في حكم البناء على القبور، محمد تقي الدين الهلالي، ط. الأولى، عام ١٣٤٦هـ، المطبعة العربية، مصر.

٨٥. القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي، تحقيق: بشير محمد عيون، ط. الثانية، عام ١٤١٥هـ، مكتبة المؤيد، الرياض.
٨٦. القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد للدكتور عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر، ط. الأولى، عام ١٤٢٢هـ، دار ابن عفان، الخبر.
٨٧. القول السديد، عبد الرحمن السِّعْدي، تحقيق: د. المرتضى الزين احمد، ط. الثالثة، ١٤٢٠هـ، مجموعة التحف والنفائس، الرياض.
٨٨. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط. الأولى، عام ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٩. لسان العرب، لابن منظور، اعتنى بها: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط. الثالثة، دار إحياء التراث العربي.
٩٠. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب، تحقيق: طلعت بن فؤاد الحُلواني، ط. الأولى، عام ١٤٢٣هـ، دار الفاروق، القاهرة.
٩١. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، عام ١٤١٦هـ، ط. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.
٩٢. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر، ط. الأولى، عام ١٤١٤هـ طبع ونشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
٩٣. مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، اختصار محمد الموصلي، تحقيق: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي، ط. الأولى ١٤٢٥هـ، أضواء السلف، الرياض.
٩٤. مختصر العلو للعلي الغفار، للذهبي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط.الثانية، عام ١٤٢٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٥. مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر الجليل، ط. الأولى، عام ١٤٢٣هـ، دار طيبة، الرياض.
٩٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القارئ، تحقيق: جمال عيتاني، ط. ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، لبنان.
٩٧. المستدرك على مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ط. الأولى.
٩٨. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، تحقيق: عبدالسلام علوش، ط. الأولى، عام ١٤١٨هـ، دار المعرفة، بيروت.
٩٩. المسند، للإمام أحمد، تحقيق: مجموعة من أهل العلم، ط. الأولى، عام ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٠٠. المصنف، لابن أبي شيبة، ضبط: سعيد اللحام، عام ١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت.
١٠١. مصباح الظلام، عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: عبدالعزيز آل حمد، ط. الأولى، عام ١٤٢٤هـ، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.
١٠٢. المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ط.الأولى، عام ١٤١١هـ، دار الهداية، الرياض.
١٠٣. معارج القبول، حافظ الحكمي، تحقيق: محمد صبحي حلاق، ط. الأولى، عام ١٤٢٠هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.
١٠٤. معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، و د. عثمان الضميرية، وسليمان بن مسلم الحرش، ط. الأولى، عام ١٤٢٣هـ، دار طيبة، الرياض.
١٠٥. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط. الأولى، عالم الكتب، بيروت.

١٠٦. المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، ط. الثانية، عام ١٤٠٤هـ، مكتبة الزهراء، الموصل، العراق.
١٠٧. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط. الأولى، عام ١٤١١هـ، دار الجيل، بيروت، لبنان.
١٠٨. مفتاح دار السعادة، لابن القيم، تحقيق: علي حسن عبد الحميد الحلبي، ط. الأولى، عام ١٤١٦هـ، دار ابن عفان، الخُبر.
١٠٩. المنتقى شرح الموطأ، للقاضي أبي الوليد الباجي، تحقيق:محمد عبدالقادر أحمد عطا، ط. الأولى، عام ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت
١١٠. منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، تأليف: أحمد بن عبد الرحمن البنا، ط.الأولى، عام ١٤٠٠هـ، المكتبة الإسلامية، بيروت.
١١١. منهاج التأسيس والتقديس، عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، ط. الثانية، عام ١٤٠٧هـ، دار الهداية، الرياض.
١١٢. النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز الطويان، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ، أضواء السلف، الرياض.
١١٣. نتائج الأفكار، للسفاريني، تحقيق: عبدالعزيز الهبدان، وعبدالعزيز الدخيل، ط. الثانية، عام ١٤٢٠هـ، دار الصميعي، الرياض.
١١٤. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

فهرس الموضوعات — الصفحة

فهرس الموضوعات | الصفحة

فهرس الموضوعات الصفحة

فهرس الموضوعات الصفحة

فهرس الموضوعات — الصفحة

فهرس الموضوعات — الصفحة